

الدكتور سيف الإسلام علي مطر

التغير الاجتماعي

دراسة تحليلية من منظور التربية الإسلامية



التَّغْيِيرُ الاجْتِمَاعِي
دراسة تحليلية من منظور التربية الإسلامية

كافة حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م
الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة .



الإدارة والطباعة : المدينة في الإمام محمد عبد المجيد لكتبة الأناضول ٢١٧٢٢٢ / ٢١٧٢٢٢ / ٢١٧٢٢٢
تسليم المنصورة : أمانة كتبة الطب ٢١٧٢٢٢ من ب ٢٢ طمس DWFA UN 24004
تسليم القاهرة : ١١ شريف ٢١٧٢٢٢٢ / ٢١٧٢٢٢٢ / ٢١٧٢٢٢٢

التغير الاجتماعي

دراسة تحليلية من منظور التربية الإسلامية

الدكتور سيف الإسلام علي ماطر

دار الوقف للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة - ش.م.م

بسم الله الرحمن الرحيم

دعوة إبراهيم عليه السلام
ومنهج محمد ﷺ :

﴿ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة
ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ — (البقرة — ١٢٩) .

سنة الله سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾

(الرعد — ١١)

﴿ فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلاً ﴾
(فاطر — ٤٣)

صدق الله العظيم



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ . وبعد .. فهذه الدراسة تتناول موضوع التغير سواء كان تغير الأفراد أو تغير المجتمعات فبينهما علاقة والمنطلق الذى تنطلق منه تلك الدراسة آية فى كتاب الله سبحانه وتعالى حوت ما يريد شخص ما أن يركز عليه فى هذا الموضوع والآية هى .. ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّى يَغْيُرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (الرعد - ١١) تلك الآية التى وضعتها فى أول صفحة من صفحات بحث صغير قدمته عندما كنت طالبا فى الدبلوم الخاص سنة ١٩٧٢ وضعتها ولم أكن أعرف ما تحويه من قوانين تعتبر أساسا لأى دراسة تتعلق بظاهرة التغير ثم مرت الأيام وقابلت أحد الزملاء الدراسين فى أثناء بعثتى الدراسية إلى الولايات المتحدة الأمريكية وألقى محاضرة حول تلك الآية وما حوته من قوانين للتغير الاجتماعى وعدت من البعثة لأدرس فى كلية التربية جامعة الإسكندرية فى قسم أصول التربية وكان موضوع التغير الاجتماعى من بين الموضوعات التى كلفت بتدريسها ثم يذهب زميل لى هو أخى وصديقى الدكتور هانى عبد الستار فرج إلى الإمارات أستاذاً زائراً بالجامعة فيوكل إلى تدريس فلسفة التربية فى الصف الرابع وقمت بإعداد بعض المحاضرات كان من بينها محاضرات عن « فلسفة » التربية الإسلامية ثم قابلت صديقا وأخا عزيزاً متخصصاً فى هذا المجال هو الدكتور عبد الرحمن النقيب وعرضت عليه مآدرسه فشجعنى على الكتابة فى هذا المجال فجزاه الله خيراً فقلت إن هناك شروطاً معينة ينبغي توافرها قبل أن أدخل هذا المجال ورغم شعورى أن الكتابة فى هذا المجال واجب وواجب ثقيل وأمانة يجب تأديتها إلا أننى كنت أرى أن هناك شروطاً معينة ينبغي توافرها قبل أن أدخل هذا الميدان ثم أعرت إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض وكان الجو مشبعاً بالتربية الإسلامية ووقع نظرى على كتاب للأستاذ جودت سعيد أحد المفكرين المسلمين ، عنوان الكتاب « حتى يغيروا ما بأنفسهم » وقرأت الكتاب وقرأت حول الموضوع ثم وجدت نفسى أقرأ فى التغير وعلاقته بالتخصص الأصلى وهو التخطيط التربوى فما هدف التخطيط إلا إحداث

التغير فيكون ذلك كله مشجعا لى على بداية ولوج هذا الميدان : ميدان التربية الإسلامية .

ولقد ذكرت هذه المقدمة لكى أقول أننى أتحسس فى الدخول إلى هذا المجال وأدخله على استحياء ويرجع ذلك لقناعتي بأن من يدخل فى هذا الميدان لأبد أن يكون مؤهلا تأهيلا إسلاميا خاصا وكثير ماكنت أنتقد بعض الكتابات فى هذا الميدان . ثم قرأت كتابا عن الاجتهاد ، وكيف أن الدين الإسلامى الحنيف قد فتح باب الاجتهاد إلا أن ذلك بشروط ولأستطيع أن أقول أن الشروط موجودة بالنسبة لى فالله وحده يعلم الأسرار والخفايا والنوايا ولكن الفكرة قد اختمرت على أية حال ووجدت نفسى أكتب فى هذا الموضوع وأسأل الله تعالى القدير أن تكون هذه الدراسة بداية لدراسات وبحوث أخرى أقول هذا وأتوكل على الله لأتناول هذا الموضوع على استحياء ولا أملك إلا أن أدعو :

﴿ رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى ﴾ .
(طه : ٢٥ — ٢٨)

وستكون هذه الدراسة منصبة على بعض النقاط حيث تتعرض لمفهوم التغير الاجتماعى بوجه عام فى بعض الكتابات وبهنا هنا أن نشير أن الحكمة ضالة المؤمن وهو أحق بها وليس هناك ما يمنع من الاستفادة من تجارب الآخرين فى أى مكان فى هذا الميدان فإننا قد نعرف تفاصيل النظام الإسلامى فى الميادين المختلفة وخاصة فى ميدان التربية ونظرة الإسلام إلى موضوع التغير ولايكفى القول هنا أن الإسلام نظام شامل للحياة فهذا عموم لايفيد كثيرا ولكن ينبغي أن نوضح ذلك لبنين القصور الموجود فى النظريات والنظم الوضعية حتى إذا تكلمنا ونقدنا كان ذلك ناتجا عن علم ومعرفة ومن هنا ستناول الدراسة بإيجاز مفهوم التغير الاجتماعى وعوامله ، ثم قوانين التغير الاجتماعى فى الإسلام ثم مفهوم التربية الإسلامية وهدف التربية الإسلامية فى محاولة للخروج ببعض السمات الفارقة للتربية الإسلامية ثم كيفية تحقيق هدف (أهداف) التربية الإسلامية ثم ميادين التربية الإسلامية تلك الميادين التى يمكن أن تكون محور تغيير مبالأنفس ليتحقق تغيير مباللقوم ثم بيان نظام التربية فى الإسلام ودوره فى إحداث التغيير فى مبالأنفس وكيف يمكن أن تتغير بترسيخ القيم والأفكار

والمفاهيم إلى جانب نظرة الإسلام إلى الطبيعة الإنسانية وإمكانية تهذيبها وتنميتها في الاتجاه السليم . وتتناول الدراسة كذلك التربية الإسلامية والضبط الاجتماعي لما لهذا من علاقة بموضوع التغيير الاجتماعي وكيف أن الحدود والعبادات لها أثر كبير في عملية الضبط الاجتماعي الذي يبدأ بالتربية الإسلامية ثم بعد ذلك تقام الحدود فالوقاية خير من العلاج ، ثم بعد ذلك تبين الدراسة التربية الإسلامية في علاقتها بالنظم الاجتماعية الأخرى وعلاقة ذلك بموضوع التغيير ثم في النهاية تحاول الدراسة أن توضح أن نقطة البداية هي تغيير ما بالأنفس كمقدمة منطقية لتغيير ما بالقوم وأن الطريق الوحيد لتغيير ما بالأنفس يكمن في التربية الإسلامية وما تملكه من سمات تنطلق منها قوى الفرد وطاقاته لإحداث هذا التغيير .

لقد من الله علينا أن بعث فينا رسولا يتلوا علينا آيات الله ويذكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة وهذه التزكية والتعليم والحكمة يكون تغيير ما بالأنفس ويتغيير ما بالأنفس سيتغير المجتمع وتلك سنة الله ولن تجد لسنة تحويلا . إذن العمل هو تغيير ما بالأنفس بالتربية والتعليم والنتيجة هي تغيير المجتمع وليست هناك نتيجة بدون عمل وأسأل الله أن أكون قد وفقت في عرض هذا الموضوع وأسأل الله أن يكون بداية لدراسات أخرى في هذا الميدان وأسأل الله المغفرة .

﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾

والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل

دكتور

سيف الإسلام على مطر

كلية التربية جامعة الإسكندرية

كلية العلوم الاجتماعية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الرياض في جمادى الثانية ١٤٠٥ هـ — مارس ١٩٨٥ .

★ ★ ★ ★ ★

مفهوم التغير الاجتماعى

ربما تكون أصعب القضايا المفاهيمية فى دراسة التغير الاجتماعى هو تعريف التغير الاجتماعى وهذه مشكلة كل العلوم الاجتماعية بوجه عام ولهذا يختلف الباحثون فى تحديد هذا المفهوم فتعددت التعاريف بتعدد المراحل لدراسة التغير ، وتحديد المفاهيم المتعلقة بميدان معين يعتبر أول الطريق نحو دراسة هذا الميدان .

والمشكلة فى العلوم الاجتماعية بوجه عام هى مشكلة التعريف فكثيراً ما يكون هناك عدم اتفاق على تعريف محدد أو يكون التعريف مصدراً لسوء الفهم أو تغلب عليه العمومية أو تغلب عليه الضحالة فلا يكون شاملاً إلى حد ما للمفهوم الذى يقصد به .

وهذه المشكلة تصبح ظاهرة عندما نحاول أن نفرق بين التغير وعدم التغير ، فمعظم الأشياء وربما كلها دائماً فى حالة تغير فالأشياء دائماً متغيرة .

ويعتبر موضوع التغير الاجتماعى من الموضوعات التى شملت كثير من الدراسات بالبحث والدراسة والتحليل منذ نشأة المجتمعات وذلك لكونه ظاهرة عرفها الإنسان فى طريقة معيشته ، وفى علاقاته الاجتماعية ، وفى تغير القيم والعادات ، وفى تغير الحضارات والمؤسسات منذ فجر التاريخ .

ويعتبر التغير سنة من سنن الحياة ، والمتتبع لحركة المجتمعات الحديثة يجد أن كل شىء فى عالمنا يتغير بمضى ويتحرك وهذا ينطبق على الأفراد والجماعات والشعوب والمجتمعات والأفكار والمبادئ والقيم وفى النظريات التى تظهر فتقلب الأوضاع وتعيد الحسابات فكل شىء يسير ويتحرك والتغير فى كل اتجاه وفى كل زمان ومكان وفى كل شىء .

إن أهم ما يميز المجتمعات قديمها وحديثها ناميها ومتقدمها إنها مجتمعات متغيرة وهذه حقيقة فلا يوجد مجتمع ثابت ولا يوجد مجتمع إلا ونلنس تغييراً فى اقتصادياته وسياساته وتنظيمه وبنائه وحجمه وقيمه ، (فالتغير الاجتماعى ظاهرة

أساسية تتميز بها الحياة الاجتماعية في سبيل بقائها ونموها ونهايتها إلى التوازن مع الواقع والاستقرار الاجتماعي» (١)

والفرق بين المجتمعات المتقدمة والنامية والمتخلفة هو فرق يعزى إلى التغير الاجتماعي والفرق بين المجتمعات بوجه عام وبخاصة في العصر الحديث هو فرق في سرعة التغير الاجتماعي .. فقد يكون التغير بطيئاً يصعب إدراكه في فترة قصيرة من الزمن وقد يكون متدرجاً وقد يكون سريعاً يمكن إدراكه بسهولة وملاحظته وقد يكون في قفزات .

ولا يحدث التغير الاجتماعي في كل الظواهر الاجتماعية بطريقة واحدة أو بنسبة واحدة بل إن ذلك يختلف من ظاهرة إلى أخرى ، (وقد تندفع جماعات في التغير أكثر من غيرها وقد يتطرف البعض الآخر في هذا التغير ، ومن الملاحظ أن العناصر المادية في التراث الاجتماعي تكون أسرع من العناصر الغير مادية في التغير ويعرف هذا بالتخلف الثقافي) . (٢)

والتغير ظاهرة تتناول كل مقومات الحياة الاجتماعية والنظم والعلاقات الاجتماعية وهذا الظاهرة من الأهمية بمكان حتى أن كثيراً من الباحثين اهتموا بدراستها وخاصة علماء التربية والاجتماع والفلسفة وذلك لكون التغير ضرورة حياتيه للمجتمعات البشرية فهو سبيل بقائها ونموها وبالتغير يتبها لها التكيف مع واقعها وبالتغير يتحقق التوازن والاستقرار في أبنيتها وأنشطتها وعن طريق التغير تواجه المجتمعات متطلبات أفرادها وحاجاتهم المتجددة وعن طريق التغير يحاول الإنسان أن يسد نقصه ، ويضيق الفجوة بين المجتمعات المتقدمة والمتخلفة .

ولقد اتفق العلماء والباحثون على وجود التغير الاجتماعي وحدوثه ولكنهم لم يتفقوا بنفس الصورة على مفهومه ومدلوله ويتناول ذلك سعيد اسماعيل على بقوله « وإذا كان هناك ما يشبه الإجماع على أهمية التغير وضرورته إلى أن الوسيلة إلى تحقيقه لم يكن عليها اتفاق ، فبينما رأى البعض أنها تكمن في الأخذ بالعلوم الحديثة

(١) حامد عبد السلام زهران . علم النفس الاجتماعي ، عالم الكتب القاهرة ١٩٧٢ . ص ٢٤٤ .

(٢) عبد اللطيف فؤاد إبراهيم . المناهج . مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٧ . ص ٩٧ .

رأى البعض الآخر ضرورة العودة إلى الدين في أصوله الأولى البسيطة ، وإن استطاع البعض الآخر ألا يوجد تعارضاً بين الاثنين بأن يؤكد أن الدعوة إلى الدين بهذا المعنى لاتعنى الرجوع بالمجتمع إلى الوراء وإنما تخلص المفاهيم الدينية مما شابها من خرافات وبدع وجمود »^(١)

ويوجد بعض التعريفات للتغير الإجتماعى حيث يعرف مصطفى الخشاب التغير الاجتماعى بقوله « إن التغير فى ذاته ظاهرة طبيعية تخضع لها مظاهر الكون وشئون الحياة بالإجمال وهو أكثر وضوحاً فى الحياة الاجتماعية لأنها فى تغير دائم وتفاعل مستمر وهذا ما حدا ببعض العلماء إلى القول بأنه ليست هناك مجتمعات ولكن الموجود تفاعلات وعلاقات اجتماعية فى تغير دائم وتفاعل مستمر وآثار ولكن متبادل »^(٢) ويعرف أوجبورن Ogburn التغير الاجتماعى فيذكر أن « التغير الاجتماعى يعنى أساساً تلك التحولات التى تحدث فى التنظيم الاجتماعى أى التى تحدث فى بناء المجتمع ويشير التغير الاجتماعى غالباً إلى التغير فى السلوك الإنسانى بينما التغير الثقافى يتعلق بإبداع الإنسان »^(٣) وبالتأكيد عندما نتكلم عن السلوك الإنسانى يمكننا أن نقول أن معظم السلوك يتقلب ويتغير ويمكن القول أن الإنسان بسلوكه هو أداة التغير . ولقد عرف لبيت LIPPITT التغير على أنه « أى تغير أو تبدل مخطط أو غير مخطط فى الوضع الراهن لموقف أو لعملية أو لكائن حى ، ويقصد بالتغير المخطط .. أى تغير مقصود وغرضى أو محاولة عمدية بواسطة فرد أو منظمة أو جماعة أو نظام اجتماعى لكى يؤثر مباشرة فى الوضع الراهن »^(٤)

وهناك نوعان من التغير ، تغير مقصود وتغير غير مقصود والتغير غير المقصود — التغير الطبيعى — يحدث تلقائياً أما التغير المقصود فهذا الذى نحاول

(١) سعيد اسماعيل على . دراسات فى التربية الإسلامية ، عالم الكتب . القاهرة ١٩٨٢ . ص ٢٣٧

(٢) مصطفى الخشاب . علم الاجتماع ومدارسه ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥ ص

١ . F. Ogburn, Social Change, Longman Co., N. Y. 1976 P. 19.

L. Lippitt, Visualizing, Change, University Associates Inc., La Jolla, CA., 1973. P. 37.

إيجاده في الظروف الراهنة ويمكن أن نطلق عليه التغير الاجتماعي للدلالة على أنه عملية تغيير تحدث عن طريق التخطيط من أجل تغيير الوضع الراهن ، ولقد ميز ليبت^(١) LIPPITT بين نوعين من التغير الاجتماعي الأول التغير الاجتماعي التطوري الذي يحدث دون تدخل ودون توجيه صريح والثاني التغير الاجتماعي الذي يحدث عندما يغير الأفراد والجماعات والمنظمات أنفسهم أو غيرهم من خلال فعل واع وقرارات لتحويل الوضع الراهن .

وإذا كان التغير المخطط المقصود هو جهد صريح له هدف واضح محدد من جانب وسيلة التغير لكي يعدل من تركيب أو هيكل أو عملية نظام أو نسق اجتماعي فإن التغير غير المخطط يحدث أيضاً نتيجة تفاعل بين قوى النسق الاجتماعي ، « إنه تغير يحدث بدون تدخل ظاهري وبدون هدف منسق محدد من قبل أولئك المشتملين في عملية التغير »^(٢)

ويعتبر التغير الثقافي إلى حد ما أحد الأمثلة لهذا التغير غير المخطط حيث ينتج التغير نتيجة تبادل الأفكار والاتصال الثقافي وكذلك انتشار وانتقال التقنيات الحديثة . وهذه العملية تبدو غير مخططة فهي تحدث وقد يكون ذلك غير مقصود فليست هناك وسيلة لتخطيط هذا النمط من التغير من خلال أهداف محددة مسبقاً والتي يمكن تحقيقها .

ولقد عرف روجرز Rogers التغير الاجتماعي كعملية يحدث بواسطتها تبديل في تركيب ووظيفة النظام الاجتماعي^(٣) أما زالتمان ودنكان Zaltman and Duncan فيعرفان التغير الاجتماعي على مستوى الفرد وعلى مستوى النظام على أنه عملية تبديل في الطريقة التي يسلك بها فرد أو مجموعة أفراد كنتيجة لهذا التبديل في تعريفهم للموقف .

(١)Tbid. P. 38.

(٢)Warren Bennis, Changing Organizations. Mcgrow Hill CO., New york, 1966. P. 84.

(٣)Everett Rogers, Communication Strategies For Family PLaming. The Free, Press, New Yovk, 1973. P. 7..

إن الشخص يغير سلوكه عندما يحدد الموقف بطريقة مختلفة ومن ثم يتطلب هذا الموقف سلوكاً مختلفاً ... إن إعادة تعريف كيف يؤدي فرد دوره يمكن أن يحدث عند مستويين . قد يغير الفرد قيمه أو معتقداته ويكون من نتيجة هذا تعريف جديد لكيفية الاستجابة لموقف معين ... أو قد يحدث إعادة التعريف كاستجابته لضغط عند مستوى النظام أو مستوى البيئة الاجتماعية أو من قبل بعض الأفراد الآخرين . (١)

وبوجه عام فإن التغير الاجتماعي هو أحد العمليات الاجتماعية التي تحول البناء الاجتماعي للمجتمع في أوجه الحياة واتجاهات وسلوك أفرادها وهو يعتبر على النقيض من تلك العمليات التي تسعى للحفاظ على النظم والقيم مثل التنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعي فالتغير الاجتماعي يعني أساساً التبدل في كل أو بعض أجزاء البناء الاجتماعي . ويجب أن تعرف أن التغير الاجتماعي المخطط يشمل عملية مواجهة مع النظم السائدة وقد تمتد تلك المواجهة لتشمل مجالات متعددة تتعلق بالقيم والاتجاهات والمعرفة والمهارات وأن تلك المجالات كلها أو بعضها مطلوبة في أي تغير مخطط يكون ذا مغزى ويكتب له الاستمرار . ويتناول ليبت Lippitt هذه الميادين فيذكر :

- ١ - ميدان التغير المعرفي : تعميم خبرة التغير ، الفهم الواعي للتخطيط ومفاهيمه .
- ٢ - ميدان التغير المهاري : دمج طرق جديدة للأداء من خلال التدريب للسلوك المتغير .
- ٣ - ميدان تغيير الاتجاهات : تبني مشاعر جديدة من خلال ممارسة النجاح معها .
- ٤ - ميدان تغير القيم : إعادة تنظيم المعتقدات أن تبني قيم ومعتقدات جديدة . (٢)

(١) Gerald ZALTman and Robert Duncan, Strategies For Planned Change. John Wiley and SONS, New yovk. 1977. p. q.

(٢) G. L. Lippitt. OP. cit, P. 55.

ويرجد بعض العناصر التي ينبغي أن تؤخذ في الاعتبار في أى جهد للتغيير المخطط وهذه تعتبر عوامل تعمل على نجاح هذا الجهد وجعله يحمل مقومات حدوثه ومنها :

١ — الدعم أو التأييد الذى يتلقاه جهد التغيير : ففى أى موقف لابد أن يكون هناك شعور بالحاجة إلى التغيير من قبل بعض الأفراد والجماعات تلك الجماعات التى تؤيد التغيير وتناضل من أجل ضمان حدوثه .

٢ — الوقت : إن الوقت دائماً عامل أساسى فى أى جهد للتغيير المخطط فالتغيير لا يمكن أن يحدث بسرعة فهو يحتاج دائماً إلى وقت . إن الحقيقة التى تقول إن التغيير لا يأتى بسرعة تعتبر عاملاً أساسياً لفهم التغيير المخطط وطبيعته .

٣ — المشاركة : إن التعاون والمشاركة بين مجموعة من الجماعات والأفراد فى نظام ماتعتبر أساسية وذلك لضمان استمرار التغيير ونجاحه وعدم معارضته ويعتبر هذا الدعم عاملاً أساسياً ، كما قيل من قبل ، لضمان حدوث التغيير وتحقيق أهدافه .

٤ — التنسيق والتكامل : إن العلاقة المتبادلة بين برامج التغيير والجوانب الأخرى لسلوك النظام تعتبر ضرورية والتنسيق بين الجهود والبرامج المختلفة أساس .

إن جهود التغيير الفردية لا يمكنها البقاء منفردة أو العمل منعزلة فأى مجهود يجب أن يتكامل مع الجهود الأخرى وأن يُضمن ويتشابه وينسجم مع الأنشطة الأخرى فى النظام .

٥ — التوازن بين العقلانية والانفعالية أو العاطفية :

إن التغيير يشمل المزج بين العقلانية والعاطفية للوصول إلى هدف التغيير وإذا كانت العقلانية فى تناول الأمور مهمة كطريقة وكهدف إلا أن الأفراد يحتاجون إلى أن يكونوا منغمسين بكل وجودهم ومشاعرهم وقيمهم وعواطفهم فى أى جهد للتغيير حتى يكون التغيير مدعماً ومقبولاً ومحتملاً ومستمرّاً فى الاتجاه السليم .

وتتنوع الآراء والمذاهب في تفسير حركة التغير الاجتماعي وفي فهمه منذ فجر التاريخ ومحاولة توجيه هذا التغير بحيث نجد اختلافاً كبيراً بين تلك الآراء والمذاهب ، ولن نخوض في المفاهيم المختلفة للتغير الاجتماعي عبر العصور متناولين ما ذكره هرقليس وأفلاطون وأرسطو وداردين وهيكل وماركس وديوى فكل هذه الآراء والمذاهب ووجهات النظر قد تناولتها كثير من الدارسات وكلها قاصرة في تفسير هذه الظاهرة حيث تركز على بعض الجوانب دون الجوانب الأخرى وبحيث يتناول كل صاحب رأى أو مذهب الموضوع من ناحية معينة ، وسيكون التركيز على تناول الإسلام لهذه الظاهرة ، « ولقد كان الإسلام حكيماً منذ البداية عندما نظر إلى أحداث الحياة الإنسانية نظرة شاملة ولم يحصر حركتها وتطورها في عامل واحد بل عزاها إلى عوامل عدة تنتج من قوانين الحياة المادية متفاعلة مع العوامل الكامنة في أعماق النفس الإنسانية » . (١)

وللإسلام مخطط واضح وتفسير شامل يضبط هذه الظاهرة ويفسرها ويضع القوانين ويضع لها المنهج ويحدد لها الأهداف فيعترف أولاً بالتغير الاجتماعي كحقيقة حيث يقول الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۚ ﴾ ، (الرعد — ١١) ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ، (البقرة — ٢٥١) ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوُهَا بَيْنَ النَّاسِ ۚ ﴾ ، (آل عمران — ١٤٠)

وإلى جانب ذلك يضع للتغير قوانين ويؤكد أن التغير ظاهرة تتناول المجتمعات وتتعلق بالأنفس فالمجتمعات تتقدم وتنهض وتتخلف وليس هناك تقدم مستمر أو تخلف مستمر إذا أخذت تلك المجتمعات بالأسباب ﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس ۚ ﴾ ، (آل عمران — ١٤٠) .

★ ★ ★ ★ ★

(١) محسن عبد الحميد . منهج التغير الاجتماعي في الإسلام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت . ١٩٨٣ ص ٤

عوامل التغير الاجتماعى

يتطلب التغير الاجتماعى عدة عوامل أساسية تساعد على حدوث عملية التغير ولا بد هنا من التأكيد على أن التغير الاجتماعى لا يمكن إرجاعه إلى عامل واحد فقط ولكن يمكن القول بأنه يحدث نتيجة لعدة عوامل قد يكون أحد هذه العوامل له الهيمنة على العوامل الأخرى ، وتختلف تلك العوامل باختلاف الظروف والمجتمعات ولقد تحدث كثير من علماء الاجتماع والتاريخ والتربية عن عوامل التغير الاجتماعى وعددوا الكثير منها وقسمها بعضهم إلى عوامل داخلية تنبع من داخل المجتمع وعوامل خارجية نابعة من تأثيرات أخرى ومن ظروف خارجة عن المجتمع وهذه العوامل تشكل جانباً هاماً فى عملية التغير الاجتماعى ومن هذه العوامل :

١ — البيئة : يعتبر مفهوم البيئة مفهوماً واسعاً متعدد الجوانب فهناك البيئة الطبيعية والبيئة الاجتماعية والبيئة الأسرية ، والبيئة هى كل ما يؤثر على الإنسان منذ خروجه من بيئة الرحم المحدودة ولا شك أن وجود بعض الموارد الطبيعية فى مجتمع ما يؤثر على علمية التغير ويعتبر عاملاً هاماً من عوامل التغير الاجتماعى ، فاستغلال الإنسان لبيئته الطبيعية واستغلاله لقدراته وطاقاته فى تسخير تلك البيئة وتوجيهها نسبياً لصالح التغير يترتب عليه تغير فى البيئة يتبعه تغير فى الطرق التى تتبع فى التكيف معها والملاءمة بينها وبين أساليب الحياة للأفراد والجماعات وتغير فى أنماط معيشتهم وعلاقاتهم وفيما يستخدمونه فى حياتهم من وسائل وأدوات وتلعب العوامل المادية التى منها المناخ والموارد والزلازل دوراً هاماً فى إحداث التغير فى الحدود التى تسمح بها الظروف البيئية الطبيعية ويمكن القول بأن ما يحيط بالمجتمع من ظروف طبيعية كالمناخ والموقع الجغرافى أو الثروات يمكن أن يكون لها تأثير كبير فى إحداث التغير الاجتماعى ولعل أوضح مثال هو ما نراه فى مجتمعات دول الخليج العربى حيث يتفجر البترول من باطن الأرض حدث تغير اجتماعى ملحوظ ولكن ينبغى القول بأن هذا أحد العوامل الذى يتعلق بعوامل أخرى تعد أساسية « فتأثير الطبيعة لم يعد دائماً تأثيراً حتمياً .. ولا يكون إلا إذا تدخلت قدرة

الإنسان وطاقته الكبيره في تسخير الطبيعة وتوجيهها » . (١)

٢ — السكان تعتبر القوى البشرية العنصر الأساسى الفعال وراء كل تغير وهى المحركة له والمقدمة لجوانبه المختلفه ويتعلق بذلك توزيع السكان ومعدلات زيادتهم وتقليلهم ومعاييرهم وقيمهم الخلقية وعقيدتهم وتماسكهم وتعليمهم . فكل هذه العوامل لها أثر كبير في إحداث التغير الاجتماعى ويوجد ارتباط واضح بين وضع السكان العددي والنوعى وبين توزيعهم وبين عملية التغير الاجتماعى . ويرتبط أيضاً بذلك نسبة الوفيات ونسبة المواليد ، ونسبة المنتجين من أفراد المجتمع إلى نسبة المستهلكين ويتعلق بذلك عامل الهجرة حيث أن هجرة الأيدى العاملة والخبرة من مجال الإنتاج من مجتمع إلى مجتمع آخر يعتبر عاملاً أساسياً من عوامل التغير الاجتماعى في المجتمع المصدر والمجتمع الذى يجذب تلك القوى العاملة ، ومن أمثلة ذلك التغير الاجتماعى الذى صاحب هجرة القوى العاملة من مصر إلى بعض الأقطار العربية الأخرى حيث نتج عن هذا تغير اجتماعى في جوانب عديدة في المجتمع المصرى وفي المجتمعات العربية الأخرى . وهجرة الأوربيين إلى أمريكا الشمالية قد غيرت بلاشك من المجتمع الأمريكى .

ونخير مثال على ذلك هو هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة تلك الهجرة التى غيرت وجه التاريخ وامتد أثرها إلى الامبراطوريات المجاوره ولاشك أن عامل الهجرة يتعلق بالأفراد أو بالقوى المحركة للتغير ونوعيتها ومن هنا كان التركيز على الإنسان بجوانبه المختلفه .

٣ — العلم والتقدم التقنى للعلم واستخداماته التطبيقية علاقة مباشرة بعملية التغير الاجتماعى فالاختراعات تعد من أهم عوامل التغير فالمجتمعات الإنسانية تتغير إذا ما ظهرت اكتشافات أو حدثت مخترعات ، ويعتبر العامل التقنى أحد العوامل التى تستحث التغير في الجانب المادى من ثقافة المجتمع إذ بتغير المخترعات والآلات ونمط استعمالها تتغير مظاهر المجتمع من عادات وتقاليد مما قد يكون له أثره على العلاقات الاجتماعية وعلى السياسة بوجه عام . وتقدم العلوم يؤدى إلى

(١) المرجع السابق . ص ١٣ ، ١٤ .

استكشافات جديدة مما يترتب عليه آثار متنوعة في النواحي الاجتماعية والاقتصادية بل وفي البناء الاجتماعي كله والعلم يعتبر اتجاهها عقلياً عاماً والأخذ به وبأسبابه ضرورة لأيّ تغيير مخطط ، « فالاختراعات والاكتشافات العلمية لها أثرها الكبير على التغير الاجتماعي وكذا تقدم وسائل النقل ووسائل الإعلام واستخدام العقل الإلكتروني وغزو الفضاء ووصول الإنسان إلى القمر كل هذا وغيره له أثره على أساليب التفكير والعلاقات الاجتماعية وتنظيم المجتمع وتغير السلوك البشري »^(١).

والتغيرات المادية تتبعها تغيرات اجتماعية كبيرة فعناصر الثقافة نوعان ، عناصر مادية وعناصر غير مادية والتغير يحدث في كليهما ولكنه كثيراً ما يحدث في العناصر المادية أولاً ويكون على العناصر غير المادية أن تتكيف تبعاً لذلك إلى جانب أن التغير في العناصر المادية يتبعه تغيير في شكل الحياة وتعقيد الحياة الاجتماعية وظهور طبقات جديدة وخدمات وقد يؤدي إلى تغير كثير من القيم والعلاقات بظهور قيم جديدة .

٤ - الاتصال الثقافي تعتبر سهولة اتصال المجتمع بغيره من المجتمعات ، نتيجة للتقدم في وسائل الاتصال الفكرية المختلفة من صحافة وإذاعة وتلفاز ، من العوامل التي تؤثر على سرعة التغير الاجتماعي لأثرها الواضح في نقل الأفكار واحتكاك الثقافات وتبادل الأفكار بين الأفراد . فالاحتكاك والاتصال يترتب عليه تغير في أساليب الحياة وتغير في الاتجاهات وتنمية لبعض العادات وتغير فيما يرمى إليه الإنسان من أهداف وارتفاع في مستوى طموحات الأفراد ، وتغير في النمو العقلي وفي طريقة التفكير مما لا يمكن أن يغفل أثره وخاصة في المجتمعات الحديثة التي تتميز بالتقدم السريع في وسائل الاتصال .

٥ - العامل السياسي وظهور الشخصيات القيادية القوية .

يلعب العامل السياسي دوراً هاماً في التغير الاجتماعي لأن العملية هنا تتعلق

(١) حامد عبد السلام رهوان . مرجع سابق . ص ٢٤٨ .

بالسلطة السياسية العليا وما لها من تأثير وذلك عن طريق التخطيط المباشر لإحداث التغيير المطلوب ويتعلق الأمر كذلك بما تملكه السلطة السياسية من موارد مادية وبشرية وما تملكه من معلومات يؤهلها للسيطرة على عملية التغيير ودفعها .

وظهور بعض الشخصيات القيادية القوية سواء كان في ميدان السياسة أو في أى ميدان من ميادين الحياة المختلفة يؤثر في المجتمع وربما في مجتمعات أخرى مجاورة « وهؤلاء القادة هم الأفراد الذين يؤثرون في قبول أو رفض الأفكار الجديدة وهم الذين يلجأ إليهم الآخرون طالبين النصيحة وقد تكون القيادة في صورة فرد أو أفراد أو جماعات » . (١)

والقادة هم مجموعة خاصة من الأفراد يكون لها تأثيرات عديدة على اتجاهات الأفراد والآخرين ويمكنهم تسهيل عملية التغيير أو عرقلتها إذا ما كانت غير ملائمة لأفكارهم وسلوك القائد في مجموعة يمكن أن يتدرج من الضبط والتحكم في عملية اتخاذ القرار إلى التحكم الكامل في كل شئون المجموعة ويعتبر لبيت Lippitt أن (٢) « القيادة الملائمة في القمة تعد عنصرا أساسيا في تنمية وتنفيذ أى برنامج للتغيير »

والمشكلة في برامج التغيير أن الأفكار فيها لاتعنى الفعل ولكن السلطة والقيادة هي التي تجعل من هذه الأفكار واقعا قابلا للتنفيذ .

وتعتبر القيادة متطلبا أساسيا وظاهرا للتغيير والعلاقة المميزة للقائد الفعال تتمثل في قدرته ورد فعله ليس فقط في حالة المواجهة مع مقاومة للتغيير قوية وغير متوقعة في برنامج للتغيير ولكن عليه أن يكون رد فعله بناءً عندما يواجه موقفا غاية في الاستفزاز ويجب أن يكون راغبا في التعبير عن أفكاره في مواجهة الخلافات والصراعات وأن يكون قادرا وراغبا في الدفاع عنها عند الهجوم .

(١) Jock Rothman, PLaning 8 Organizing For Social Change, Columbia university Press
New york, 1974, P. 345 452

(٢) G. L. Lippitt, OP., cit. P. 326

ولاشك أن وجود قائد يحمل أفكارا للإصلاح يكون له أثره الواضح في توجيه مجتمعه إلى بلوغ الأهداف التي وضعها مع بعض الأفراد وإصلاح بعض العيوب القائمة والعمل على حل المشكلات والمحافظة على ماهو جيد في الوضع الراهن ، « فانتشار أفكار القائد أو المصلح وآرائه بين جماعة صغيرة تقتنع بها وتعمل على نشرها فتكسب أنصارا ثم يحدث تأثير له ولأنصاره في أفكار الناس وآرائهم فيحدث التغيير » . (١)

وهكذا فللرجال العظام دور كبير في إحداث التغيير في مجتمعاتهم وربما في مجتمعات أخرى ، « هذا وتعتبر العبقرية من أقدم النظريات التي تناولت موضوع التغيير كحتمية إذ ينادى أصحاب هذه النظرية بأن التغيير ماهو إلا نتيجة عبقرية بعض الرجال الأفاضل وتقوم هذه النظرية على أساس مفهوم القيادة والمجتمع وبمقتضاها يتغير المجتمع نتيجة لأفكار هؤلاء العظماء الذين يدفعون غيرهم بقوة شخصياتهم وخلقهم » . (٢)

٦ - العامل الأيديولوجي .

ويقصد به التغييرات التي تحدث في أيديولوجية الجماعة معتقداتها مذهبها الفكري فلسفتها وأخلاقياتها وقيمها فكل جديد في هذا الجانب يتحدى واقع الجماعة وكل تغيير في الأصول الفكرية والمذهبية يؤدي إلى تغيير بعيد الأثر في النظم والأوضاع وتمثل الأيديولوجية الجانب الفكري والعقائدي للثقافة وهي من المصطلحات الجديدة المستحدثة « والأيديولوجية نفسها لا تخلق الحركات الاجتماعية ولكنها تؤدي وظيفة الإثارة وتساندها وتبعث الفوضى في النظام القائم لتخلخل البقاء الاجتماعي وتجعل الأفراد غير واثقين وغير قابلين للأحداث التي تجري حولهم فيعملون على تغييرها » . (٣)

وهناك كثير من الأفكار التي تلعب دورا هاما في إحداث التغيير والتي تتعلق

(١) عبد اللطيف فؤاد إبراهيم . مرجع سابق . ص ٩٨ .

(٢) محمد الهادي عفيفي . التربية والتغيير للثقافة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٥ ص ٣٧ ، ٣٨ .

(٣) صمويل باسيلويس . علم الاحتجاج التربوي ، جامعة القاهرة فرع الخرطوم ، الخرطوم ، ١٩٦٩ ، ص ١١ .

بالحرية والإنسان وحقه في الحياة والديمقراطية وهذه بانتشارها تلاقى قبولاً ويكون لها الأثر في إحداث التغيير الاجتماعى .

٧ — العامل الدينى .

للدين أثر كبير في توجيه الإنسان وتهيئة طاقاته لمواجهة تغيرات الحياة والتقدم نحو المثل العليا والكمال الخلقى وبما يزود به الأفراد من معتقدات يكون لها أكبر الأثر في تغيير أفكارهم ومفاهيمهم وحثهم على التغيير وبما يقدمه من نظام تربوى يغير الأفراد فتتغير بهم المجتمعات وقد لعبت التربية الإسلامية دوراً بارزاً في تغيير المجتمع في صدر الإسلام ولم يكن للجانب المادى أثر كبير ويعنى هذا شمول الجانب الدينى للعناصر والعوامل التى تحدث التغيير ويعنى أيضاً أهمية الجانب العقائدى كباث أساسى فى عملية التغيير .

وليس هناك عامل واحد فقط من الممكن أن يكون باعثاً للتغيير، إلا أن الدين بنظرته الشاملة التى يتناول بها الإنسان والمجتمع والأمة من الممكن أن يتضمن كل العوامل الأخرى التى تحدث التغيير .

فالعناصر الأخرى ضرورية ولا بد من توفرها وهذه العناصر قد تكون سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو تربوية تلك العناصر تهيئ المناخ الملائم لعملية التغيير مع توفر القيادة التى تتحمل وتجاهد وتنسق وتنظم هذا التغيير ، تلك القيادة التى يكون لديها الفكر لإحداث عملية التغيير ، ولا شك أن فاعلية القيادة وأهميتها والعوامل الأساسية الأخرى قد تناو لها الدين الإسلامى ووضعها فى منهج واضح شامل وستناول الدراسة ذلك بالتفصيل من خلال دور التربية الإسلامية فى تغيير النفس الإنسانية والمجتمع ..

وهناك العديد من العوامل الأخرى التى تكون ذات أهمية فى عملية التغيير مثل الحروب والكوارث ونمو الوعى والثورات وهذه مرتبطة إلى حد كبير بالعوامل السابقة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وبما لا شك فيه أن العامل التربوى قد يكون أهم العوامل بوجه عام وستركز الدراسة بإذن الله على هذا العامل لما له من أهمية فى كل المراحل التى يمكن أن تتضمنها عملية التغيير الاجتماعى والتركيز هنا سيكون على العوامل التى تتعلق بالنفس الإنسانية كأساس لأى تغيير اجتماعى .

★ ★ ★ ★ ★

الإسلام والتغير الاجتماعى

بداية لابد أن نعرف أن الإسلام ليس ديناً يقتصر على جوانب من العقيدة المعينة والعبادة الخاصة ومبادئ من الأخلاق المحدودة ، بل هو دين شامل يشتمل إلى جانب تلك الجوانب على التنظيم الاجتماعى والمنهج التربوى الخاص به ، ويشتمل أيضاً على التنظيمات الاقتصادية والسياسية والقضائية وينفرد بنظرة شاملة متكاملة لمفهوم التغير والسنن والقوانين التى تحكمه ومن خصائص الإسلام أنه يبدأ بناء الفرد أولاً بناءً متكاملًا عن طريق التربية والتعليم حتى تكون اللبسات التى يتكون منها البناء الاجتماعى على أسس سليمة ليس فيها خلل أو تناقض ثم بعد ذلك يضع الأسس لهذا البناء الاجتماعى حتى لا يصاب هذا المجتمع من حين لآخر بالتفكك والانحلال بل يبقى دائماً قوى البنيان طالما أن لبناته الأولى استمرت قوية .

ولهذا فإن أساس أى تغيير يرمى له النجاح والاستمرار هو ذلك التغيير الذى يتعلق بالفرد أو الذى يجعل من الفرد الأساس لهذا التغيير .

وظاهرة التغير كظاهرة اجتماعية هامة وكغيرها من الظواهر تناولها القرآن الكريم بوضوح من حيث هى قانون اجتماعى مبنى على الصراع حيث قال تعالى : ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴾ (البقرة — ٢٥١) وقال أيضاً ﴿ إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس .. ﴾ (آل عمران — ١٤٠) .

ومداولة الأيام بين الناس تحمل بين طياتها مفهوم التغير ولا يمكن أن تأتى إلا نتيجة له والذى لابد أن يحدث بسبب العوامل التى تسهم فى إحداثه ﴿ سنة الله التى قد خلقت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً ﴾ (الفتح — ٢٣) .

فحتمية التغير فى الإسلام حقيقة معترف بها وإذا ما سلمنا بهذه الظاهرة فإنه يجب أن نعترف بأنها تخضع لقوانين وبالتالى إذا فهمنا القوانين فإنه من الممكن أن نسخر الظاهرة ونسيطر عليها ونستثمرها الاستثمار الأمثل .

ويتناول محسن عبد الحميد هذا المفهوم من وجهة نظر الإسلام بقوله « إن الاختلاف هو القانون لا الوحدة والتغير هو القانون لا الثبات والتغير ليس أمراً عرضياً (١) طارئاً إنما هو صفة الوجود والحياة حتى في عالم الجماد لا يبقى شيء على حاله » .

وتكمن نظرة الإسلام إلى التغير في تلك العلاقة السببية بين تغيير الأنفس وتغيير المجتمع وأن تغيير المجتمع رهن بتغيير الأنفس وهذا التغيير لا يمكن أن يتم إلا بالتربية والتعليم فبدون التربية لن تتغير الأنفس التي هي مقدمة منطقية لتغيير المجتمع كما جاء في الآية الكريمة قال تعالى : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ (الرعد — ١١) .

وقال أيضاً : ﴿ ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم ﴾ (الأنفال — ٥٣) .

وعدم إدراك تلك العلاقة يجعل البعض يتطلع إلى التغيير دون أن يخطر ببالهم أن تغيير المجتمع رهن بتغيير الأنفس ويجعل البعض يتمنى التغيير اعتقاداً منه أن هذا التغيير سيأتي دون أن يقدم الأسباب والسماء لا تمطر ذهبا ولا فضة كمال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وتتجلى نظرة الإسلام إلى التغير واعترافه بتلك الظاهرة وتناولها بوضوح في كل الأمور حتى في أحكام الشريعة نفسها فنجد أن منها ما هو ثابت ، وما هو متغير فيقول محمد نبيل غنايم أن أحكام الشريعة نوعان أ — ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان واختلاف الأئمة كوجوب الفرائض وتحريم المحرمات والحدود المقررة شرعاً والميراث

ب — متغيرة بحسب اقتضاء المصلحة لذلك زماناً أو مكاناً أو حالاً ... وأكثر أحكام الشريعة ورد بصيغة مجملة ليدور الحكم فيه مع المصلحة وجوداً وعندما (٢)

(١) محسن عبد الحميد . مرجع سابق ، ص ١٨ .

(٢) محمد نبيل غنايم « شهادات حول التشريع الإسلامي » محاضرات الثقافة الإسلامية كلية الشريعة الدراسات العليا مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ١٤٠٣ ص ٢٢ .

ويقول مصطفى الزرقا إن « لهذا الإجمال في نصوص القرآن مزية هامة بالنسبة إلى أحكام المعاملات المدنية والنظم السياسية والاجتماعية فإنه يساعد على فهم تلك النصوص المجملية وتطبيقها بصورة مختلفة يحتملها اللفظ فيكون باتساعه قابلا لمجاراة المصالح الزمنية وتنزيل حكمه على مقتضياتها مما لا يخرج عن أسس الشريعة ومقاصدها » (١).

وبالرغم من أن الإسلام ينظر إلى التغير كحقيقة ويضع له القوانين التي ستتناولها الدراسة إلا أن الكثيرين في لحظات من الحماس لا يدركون تلك القوانين ناسين أن تحقيق التغير في المجتمع رهن بتغير الأنفس وأن تغيير الأنفس الذي هو شرط لتغيير المجتمع يتطلب تربية ومنهجاً تربوياً ووقتاً طويلاً وصبراً ومثابرة وعدم الأخذ بأسباب تغيير الأنفس وعدم اتباع المنهج التربوي لتغييرها كشرط مسبق لتغيير المجتمع وهو الذي يعطى حق البقاء لهذا الواقع الذي يراد تغييره فبدون التربية لن يتغير مافى الأنفس وبدون تلك المقدمة المنطقية والقانون السماوى لن يتغير مافى المجتمع .

إن هناك جوانب في حياة الإنسان تخضع للتغيير ولما كان شأنها كذلك فإن الإسلام وضع لها قواعد وأسس كلية ولم يحسم الأمر فيها ومن هنا كان الأخذ بالأسباب والمعرفة بتلك القواعد والأسس والعمل على التغيير والتقدم وإذا ما سلمنا أن هناك مشكلة يمكن أن تطلق عليها مشكلة التغير الذي هو حقيقة واقعة يكون الدور الأساسى والهام هو ما يتعلق بالأسس العامة والقواعد والقوانين التي تحكم التغير وماهى العوامل التي تحدثه وهل من الممكن معرفة تلك القوانين وأن نتدبرها ونبنى دور التربية بمبادئها المختلفة في إحداث التغير وتناول الفرد لمشكلة معينة أو ظاهرة محددة بعد إحساسه بها يتبعه العمل على تناول تلك المشكلة أو الظاهرة شريطة أن يكون هذا العمل وفق القوانين التي تخضع لها الظاهرة .

(١) مصطفى الزرقا . وجوب تضيق الشريعة الإسلامية ، إدارة الثقافة والنشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ١٤٠٤ / ١٩٨٤ (٢٢٣ - ٢٢٤) .

إن الإنسان في أى مجتمع من المجتمعات غالبا ما يواجه المشاكل الكثيرة وتنى تناوله لتلك المشاكل يقف منها .موقفا معينا وكما يقول جودت سعيد :

« إن العقل يمكن أن يأخذ أحد موقفين إزاء المشاكل إما أن يفرض فيها أنها تخضع لقوانين وبالتالي يمكن أن يخضع المشكلة للسيطرة عليها وتسخيرها وإما أن يفرض فيها أنها لا تخضع لقوانين ولا يمكن كشف قوانينها وبين هذين الموقفين مواقف متعددة يتفاوت فيها القرب من أحدهما والبعد من الآخر ... إن الذين لا يرون للمشكلة قوانين أو يفرضون لها تفاسير خاطئة لا يمكن أن يصلوا إلى نتائج فعدم اعترافهم بالقانون لا ينفى القانون وإنما يمنعهم من السيطرة عليه وتسخيره ويجعل منهم أداة يلعب بها الآخرون الذين علموا القوانين الصحيحة .^(١)

ويبدأ النشاط المنتج في مواجهة المشكلات بالتفكير ولقد فضل الله الإنسان بالجهاز الذى يفكر به وهو الدماغ وهو مركز التفكير الذى يضطلع ويهيم على كل النشاطات العقلية التى تسير أمور الإنسان وتحكم فى تصرفاته ولقد حث الإسلام على التفكير والتفكر والتدبر ودعا إلى استعمال العقل والتفكر والتبصر والتخطيط لأعمالنا ويضيق المقام لذكر الآيات الكثيرة التى وردت فى القرآن المجيد والتى تتحدث عن العقل والتفكير فى آيات الله وما ورد لنا من عبر وحكم ليعلمنا ويهديننا من خلالها .

قال تعالى ﴿ إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾ (البقرة — ١٦٤)

(١) . جودت سعيد . حتى يغفروا ما بأنفسهم ، المؤلف ، دمشق . ١٩٧٢ ، ص ١٦ — ١٨ .

والمجتمع والبناء الاجتماعى والتغير الاجتماعى يخضع لقوانين لكى يحدث التغير وهذه القوانين يمكن كشفها وتسخيرها لكى يتحقق التغير الذى ينشده أى مجتمع والإنسان الذى يواجهه بمشكلة ويعتقد بإمكانية حلها وفق قوانينها هو إنسان يؤمن بالتغير الذى هو عبارة عن حالة لا يرضى عنها إلى حالة مرغوب فيها فما هى القوانين^(١) التى نخرج منها من الآية الكريمة من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (الرعد - ١١) .

١ - التغير سنة عامة للبشر كافة

سنة تنطبق على كل البشر وليست خاصة بالمسلمين كما يعتقد البعض ولا بغيرهم إنما هى عامة بدليل ما جاء فى الآية الكريمة فكلمة قوم لم تأت مخصصة بقوم معينين وإنما هى لكل قوم وجميعها نكرة فى هذه الآية يدل على ذلك فهى سنة تنطبق على الناس كافة قبائل وشعوبا وأجناسا وأديانا هذه القاعدة يخضع لها كل الأقوام إذا أخذوا بأسباب التغير فسيتغيرون وليست حكرا على المسلمين فهى مشكلة الإنسان فى أى زمان ومكان لهذا كان من الضرورى معرفة سنن تغيير الأنفس لأن التغيير يكتب فى عقول الرجال ولأن الفرد هو محرك الأحداث وأن أهم عناصر قوى التغيير هو الفرد المتمتع بالشخصية المستقلة الواعية المفكرة وهذا لا يكون إلا بالتربية .

٢ - التغير لا يحدث إلا فى جماعة

التغير سنة مجتمع لاسنة فرد فبالرغم من أن تغيير الأنفس أساس لتغيير المجتمع إلا أن التغيير سنة اجتماعية لاسنة فردية وقد جاء فى الآية الكريمة ما يفيد ذلك الجمع أو الجماعة (مابقوم) فلم تقصد فردا معينا وإنما الحديث عن قوم ، عن مجتمع له خصائصه وبكل عناصره ثم جاءت كلمة « ما بأنفسهم » لتشير إلى الجمع مرة أخرى ومن هنا يمكن القول بأن الفردية ليس لها حظ من التغيير وخصوصا تغيير

(١) اعتمد الباحث فى هذا الجزء الخاص بالقوانين على كتاب الأستاذ جودت سعيد « حتى يغيروا ما بأنفسهم » على شئ من التصرف وقد تناول الأستاذ جودت ذلك فى صورة سنن التغير فى القرآن . (مرجع سابق) .

المجتمع وقد يتغير الفرد ولكن في هذه الحالة لا يشترط أن يتغير المجتمع طبقاً لذلك وهنا تتدخل مفاهيم أخرى تتعلق بالوعي بقضايا المجتمع ومشكلاته وكيفية مجابهتها بما لدى الأفراد من إمكانيات وقوى أودعها الله في نفوس أفراد ذلك المجتمع فالتغير الذي يحدث بالمجتمع يقوم على أساس العمل الجماعي وليس على أساس الجهود الفردية غير المنسقة والتي أحياناً ما تكون متضاربة لا تؤدي الغرض المطلوب .

٣ - التغير سنة دنيوية لاسنة أخروية

الإسلام دين ودنيا ولكن التغير المراد في الآية الكريمة هو ذلك الذي يحدث في الدنيا وعلى هذا فقد كانت المحاسبة في الدنيا جماعية أما محاسبة الآخرة ففردية ولهذا فإن المسؤولية الاجتماعية تتعلق بمؤاخذه المجتمع كله إذا لم يتبع سنن التغير وتدل الآيات الكريمة على ذلك فبالنسبة للمسؤولية الفردية .

قال تعالى : ﴿ وَأَن لِّسَ لِلإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَن سَعِيهِ سَوْفَ يَرَى ﴾ (النجم ٣٩ - ٤٠) .

وقال : ﴿ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ (مريم - ٨٠) .

أما بالنسبة للمسؤولية الاجتماعية فقال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (الأنفال - ٢٥) .

وقد سأل صحابي رسول الله ﷺ أنهلك وفيما الصالحون قال نعم إذا كثرت الحثب^(١) ، وهذا يوضح أن محاسبة المجتمع في الدنيا جماعية إذا ماخالف سنن التغير .

٤ - في الآية تغييران تغيير الله وتغير القوم وفي الآية أيضاً ترتيب أن تغيير الله للقوم لا يأتي إلا إذا غيروا ما بأنفسهم ، فقد قال تعالى ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكْ مَغْيِرًا

(١) رواه البخاري في الفتن ٩ / ٦٠ ومسلم في الفتن ٤ / ٢٢٧ . وغيرهما .

نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم ﴿٥٣﴾ ، (الأنفال — ٥٣) .

وهذا له دلالة هامة لأن الإنسان كثيراً ما يغيب عنه ما يخصه من التغيير وهذا يجعله سلبياً غير إيجابى فى انتظار السماء فيلجأ إلى الخنوع والخضوع والتواكل والسماء لا تمطر ذهباً ولا فضة كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه إن هناك تكليف ومسئولية والتغيير الذى يحدث أولاً يتعلق بالقوم وواجبهم ومسئولياتهم وأن الإنسان له الحرية فى الحركة بإرادته والنشاط الفعال المفكر فى إطار ما خلق الله له من قوانين وامنحه من قدرات واستعدادات . يقول جودت سعيد :

والرجاء بأن يحدث الله التغيير الذى يخصه قبل أن يقوم القوم (المجتمع) بالتغيير الذى خصهم الله به يكون هذا النظر مخالفاً لنص الآية وبالتالى إبطالا لمكانة الإنسان وأمانته ومسئوليته ولما منحه الله من مقام الخلافة على أرضه لأن هذا التحديد فى مجالات التغيير وهذا الترتيب فيما ينبغى أن يحصل أولاً وما يحدث تالياً هو الذى يضع البشر أمام مسؤولية حوادث التاريخ ومن هذه النافذة يمكن إبصار أثر البشر فى أحداث التاريخ ومسئوليتهم إزاءها^(١)

وتفسير أحداث التاريخ برؤية الجانب الذى أحدثه الله فقط فى الأقوام السابقة دون إدراك علاقة هذا الجانب الذى يختص بالقوم وبما أحدثه القوم من تغيير فى نفوسهم يعتبر تفسيراً يجانبه الصواب ومخالفاً لنص الآية الكريمة وإبطالا لمسئولية البشر ودعوة إلى السلبية والخنوع وليس إلى الإيجابية والمبادأة وليس معنى هذا إغفالاً لإرادة الخالق فسبحان مسبب الأسباب فبجانب السنن والقوانين التى أودعها الله تعالى فى الوجود والتى تحكم علاقات البشر وظواهره الاجتماعية فإن إرادة كن تتدخل أحياناً فتحدث التغيير الضرورى المطلوب .^(٢)

(١) جودت سعيد . مرجع سابق . ص ٤٦ .

(٢) محسن عبد الحميد . مرجع سابق ، ص ١٨ .

قال تعالى : ﴿ ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ﴾ ،
(الأنعام — ١٣١) .

وقال ﴿ فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما
أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب
العالمين ﴾ ، (الأنعام — ٤٤ — ٤٥) .

وقال ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفها ففسقوا فيها فحق عليها القول
فدمرناها تدميراً ﴾ ، (الإسراء — ١٦) .

وقال ﴿ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك كذلك فعل الذين
من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفُسهم يظلمون فأصابهم سيئات ما عملوا
وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ﴾ ، (النحل — ٣٣ — ٣٤) .

إن هناك شروطاً أساسية لإحداث التغيير وهى تلك المقدمة التى تختص بالقوم
فالتربية وتغيير الأنفس من خلال ميادين التربية المختلفة ثم المسئولية الاجتماعية
والفعل الاجتماعى والعمل والإيجابية هى أحد تلك الشروط لأنها مقدمة أساسية لما
يخص الله سبحانه وتعالى وإرادته وقدرته .

وبجال التغييرين هما تغيير الله وتغيير القوم وبجال التغيير الذى يحدثه الله
سبحانه وتعالى هو ما بالقوم أما التغيير الذى أسنده الله تعالى إلى القوم بجاله ما
بالأنفس ويشمل التغيير كل شيء مادي وغير مادي وقد يشمل الغنى والفقر
والصحة والسقم والعزة والذل والاستقلالية والتبعية وكل النعم التى أنعم الله بها
على عباده ويتضح ذلك مما ذكر فى الآية الكريمة فى قوله تعالى ﴿ ذلك بأن الله لم
يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيرها ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم ﴾ ،
(الأنفال — ٥٣) .

والنعم كثيرة ومتعددة وهى متضمنة فى المجال الذى يحدث فيه التغيير فيقول
تعالى ﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلول

كفار ﴿٣٤﴾ (إبراهيم — ٣٤) .

فكل النعم متضمنة في الآية أما التغييرات التي تحدثها الأقوام فإن الله سبحانه وتعالى حدد مجالها بما في الأنفس ويتعلق هذا بالأفكار والمفاهيم والقيم والمعلومات والمعارف وهذه كلها مجالها يمكن أن تتناوله التربية ومعرفة الارتباط بين التغييرين يجعلنا نهتم بجانب تغيير ما بالأنفس بالتربية والتعليم والتزكية وتعديل السلوك وبهذا يتمكن الإنسان من استخدام سنن التغيير والاستفادة منها .

ومن هنا فإن الجانب الذى يخص القوم هو جانب فى غاية الأهمية وهو الأمر الذى يجب أن نولى الاهتمام بالتربية الإسلامية لأن التربية مجالها ما بالأنفس وهى القادرة على إحداث هذا التغيير ويجب أن يفعل الأفراد ما يخصهم ثم بعد ذلك ينتظرون ما يخص الله سبحانه وتعالى وتلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً . وهنا نجد أن المشكلة فى المقام الأول هى مشكلة الإنسان بكل ثقله وتبعاته وإمكاناته وقدراته واستعداداته وإرادته ودوره فى إحداث التغيير وتحمله ومسئوليته لما هو فيه من تبعات التخلف والجهالة فالإنسان يستطيع أن يركب النفس وأن يرسبها قال تعالى ﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ (الشمس — ٧ — ١٠) .

فمبادئ تزكية النفس هى العلاج والسبيل إلى مواجهة المشكلات والتغيير وعوامل التدسية هى لب المشكلة وقد نسب الله سبحانه وتعالى عوامل التزكية والتدسية للبشر ويفيد ذلك فى أنه يمكن أن توضع فى النفس الأفكار ابتداءً كما يمكن أن يعدل السلوك وأن يرفع ما فى الأنفس من مفاهيم سلبية وأن نوضع مفاهيم أخرى وهذا هو الجزء الهام والأهم فى عملية التغيير وهذا ما يمكن أن تضطلع به عملية التريه والتعليم .

٥ — إن مهمة البشر فى تهيئة الأسباب والتفاعل معها والتغيير الذى يحدثه الله سبحانه وتعالى فى خلق النتائج .

إن الله سيغير ما بالقوم إذا هم غيروا ما بأنفسهم ، ومهمة البشر هنا هى

اكتشاف السنن والاجتهاد والاستفادة منها فللإنسان سلطان على ما بالأنفس ولقد اشترط الله أسبقية التفسير الذى يحدثه القوم فإذا وقع التفسير الذى يحدثه الله دل ذلك بالقطع على أن البشر قد غيروا ما بأنفسهم وإذا حدث التفسير الذى يحدثه البشر فإن وعد الله آت لا محاله وعلينا أن نعرف أن هذا الذى يحدث فى مجال القوم (الجماعة والمجتمع لافى مجال الفرد) .

إن الإنسان ليست له القدرة على خلق النتائج ولكن مجاله يتمركز فى الاستفادة من السنن الموضوعية فالإنسان له عمل عليه أن يعمل هذه سنة الله القائل ﴿ فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً ﴾ ، (فاطر — ٤٣) .

على الإنسان أن يأخذ بالأسباب والقرآن الكريم يحوى كثيراً من المواقف فقد أمر الله السيدة البتول مريم أن تهز النخلة عندما فاجأها المخاض إشارة إلى أن البشر عليه أن يأخذ بالأسباب ثم يترك النتائج على الله سبحانه وتعالى القائل ﴿ وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً ﴾ ، (مريم — ٢٥) .

وهنا الثابت أن للإنسان عملاً وعلى الإنسان أن يعمل ما يخصه . هناك مقدمات من اختصاص البشر ثم النتائج على الله سبحانه وتعالى .

﴿ أفرايتم ما تمنون أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ﴾ ، (الواقعة — ٥٨ — ٥٩) .

﴿ أفرايتم ما تحرثون أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ﴾ ، (الواقعة — ٦٣ — ٦٤) .

ومن القوانين السابقة يمكننا أن نخلص إلى إمكانية تغيير ما بالأنفس وإن هذا من مهمة البشر وأن التغيير الاجتماعى يعد سنة عامة لجميع البشر وسنة مجتمع لاسنة فرد. ويتضح أن للتربية الدور الأساسى حيث أنها الطريقة التى تستطيع أن تغير بها ما بالأنفس . والإنسان أطول المخلوقات حضارة ومن هنا كانت مرحلة الطفولة ذات أهمية كبرى فى التنشئة الاجتماعية وفى اكتساب الأطفال نمطاً معيناً من الحياة

الاجتماعية بقيمها وأفكارها وذلك لأن أثر البيئة شديد على تكوين الإنسان فالمجتمع هو الذى يعطى للفرد الذى ينشأ فيه قيمه ومعاييره وكيف يتم ذلك ؟ والإجابة بالتربية والتعليم ومن هنا كانت أهمية صياغة الفرد الذى ينشأ فى المجتمع وذلك بالاهتداء إلى السنن والقوانين التى تحكم ذلك .

★ ★ ★ ★ ★



مفهوم التربية الإسلامية

إذا كان التغير الاجتماعي رهن بتغيير ما بالأنفس فإن تغيير ما بالأنفس هو مهمة التربية الأولى وهذه المهمة ليست سهلة لأنها تتعلق بالإنسان ذلك المجهول الذي نكتشف جزءاً منه يوماً بعد يوم وسيستمر ذلك إلى أن تقوم الساعة مصداقاً لقوله تعالى ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾ ، (فصلت ٥٣)

وإدخال السين على نريهم يفيد الاستقبال والاستقبال مستمر ومتجدد لا يتوقف إلى قيام الساعة فلكل عصر مستقبله وهو حاضر لما يأتي بعده وهكذا فالآيات مستمرة في الآفاق وفي الأنفس .

والتربية التي يمكن أن تقوم بتلك العملية تنبثق من الإسلام الذي هو شريعة الله والعمل بهذه الشريعة يقتضي أن يكون البشر على درجة تؤهلهم لحمل الأمانة ويقتضي هذا التطوير والتهديب والتزكية لمادة التربية ونقصد بهذا الإنسان وهذا التطوير والتهديب والتزكية يمكن أن نطلق عليه التربية الإسلامية . فهي تعنى كما يرى النحلاوي « تربية الفرد على الإيمان بالله والاستسلام لشريعته ، تربية النفس على الأعمال الصالحة وعلى منهج الحياة الإسلامية ، تربية المجتمع على التواصل بالحق للعمل به)...^(١)

والتربية الإسلامية تربية شاملة تهتم بالعبادة والسلوك وتهتم بالفرد والجماعة وتركز على العقيدة والعمل فهي تهتم بجميع جوانب الحياة وتهتم أيضاً بما بعد الحياة حيث أن نظرة الإسلام تربط بين الدنيا والآخرة . والتربية الإسلامية تعمل على المحافظة على فطرة الناشئ ورعايتها وتنمية مواهبه واستعداداته وتوجيه الفطرة والمواهب والاستعدادات وفق توجيهات الإسلام وتعمل أيضاً على السير في هذه العملية بتدرج .

(١) عبد الرحمن النحلاوي . أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٧٩ . ص ١٨ .

ولقد تناول محمد قطب التربية الإسلامية بقوله « عاجلت التربية الإسلامية الفرد معالجة كاملة شاملة لجسده وروحه وعقله ووجدانه وعلاقاته الاجتماعية مع الآخرين هي معالجة الكائن البشري كله معالجة شاملة لا تترك شيئاً ولا تغفل عن شيء جسمه وعقله وروحه ورغباته المادية والمعنوية وكل نشاطه على الأرض فالإسلام يأخذ الكائن الحي البشري كما هو عليه بفطرته التي خلقه الله عليها فهو لا يفعل شيئاً من هذه الفطرة ولا يفرض عليها شيئاً في تركيبها الأصيل ويتناول هذه الفطرة في دقة بالغه فيعالج كل جزء من حياة الإنسان في تناغم تام ويعالج كل وتر فيها وكل نغمة تصدر عن هذا الوتر فيضبطها بضبطها الصحيح وفي نفس الوقت يعالج كل الأوتار مجتمعة^(١) وينظر الإسلام إلى الإنسان نظرة شاملة من جميع جوانبه الجسمية والنفسية والعقلية والاجتماعية وهو بذلك يختلف قطعاً عن الأيديولوجيات الأخرى التي تهتم بناحية وتهمل أخرى أو تركز على جانب دون الجانب الآخر .

والتربية الإسلامية تبدأ بالفرد لأن الفرد عضو في الجماعة التي يعيش في كنفها فإذا أحسنت تربية الفرد ووجه التوجيه السليم فمما لاشك فيه أن هذه التربية سوف تشمل الجماعة كلها وسيمتد أثرها إلى المجتمع كله .

وإذا كانت التربية تختلف باختلاف المذاهب والمجتمعات وينظر إليها المربون والفلاسفة نظرات مختلفة من زوايا مختلفة ولأن موضوعنا يركز على التربية الإسلامية فيرى الباحث أنه لاجابة لإيراد مفهوم التربية في الفلسفات المختلفة فلقد كتب الكثيرون حول آراء أفلاطون وأرسطو وروسو وكانت ونسبالتزي وكلبترك وجون ديوى وامتألت بها كتب فلسفة التربية ولكننا هنا نركز على التربية الإسلامية التي تنطلق من منهج وضعه الله سبحانه وتعالى خالق الإنسان ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللطيفُ الخبير ﴾ (الملك - ١٤) وهو الذي سن سنناً لنموها ومعاملتها وتفاعلها « إن للتربية في ضوء الإسلام أن تسير وفق أحكام الشريعة الإسلامية ومن هنا أيضاً فإن القول أن التربية عملية هادفة لها أغراضها وأهدافها وخططها وغاياتها وأنها تقتضى خططاً متدرجة يترتب بعضها على

(١) محمد قطب . منهج التربية الإسلامية ، دار القلم القاهرة . د . ت . ص ١٩ .

بعض ، فالأعمال التربوية والتعليمية تسير وفق ترتيب منظم صاعد ينتقل مع الناشئ من طور إلى طور ومن مرحلة إلى مرحلة في كل شأن من الشئون والتربية الإسلامية تبدأ ببناء الفرد من داخل الفرد وذلك بتكوين عقيدة التوحيد فيه حيث يوحد بها ذاته وكيانه واتجاهه ورغباته والمنهج في التربية الإسلامية يقدم تزكية النفوس وتهذيبها على تعليم العقول حيث يقول سبحانه وتعالى ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يثّلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون ﴾ ، (البقرة — ١٥١) وبالتربية الإسلامية تنمى الأخلاق ويكون الإسلام روحاً خيره وإرادة خيره تسعى إلى الإصلاح وتنمى الجوانب العقلية والعلمية وتتكون العقلية المنطقية . وبالتربية الإسلامية يُرى الفرد اجتماعياً حيث يكون الإسلام في الفرد روح التعاون والتعلق بالمجتمع . وبالتربية الإسلامية تتكون في الفرد روح الاحترام للإنسان وتعطى القيمة له من حيث هو إنسان بصرف النظر عن وظيفته وجنسه ولونه ، ففي التربية الإسلامية يتناول الإنسان من جميع جوانبه وجميع مناحى حياته .

التربية والتعليم

قد يظن في تناول مفهوم التربية الإسلامية أن هناك غموضاً فيما يتعلق بمفهوم التربية ومفهوم التعليم وهل التربية مرادفة للتعليم أم أن التربية شيء آخر مغاير للتعليم أم أن أحدهما يشمل الآخر ويحتويه وقد التبس الأمر على الكثيرين فجعلوا التربية والتعليم شيئاً واحداً والحقيقة أن هناك فرقاً بينهما . والفرق بين التربية والتعليم ليس فرقاً كبيراً والفرقة الزائدة بين التربية والتعليم أمر فيه شيء من المبالغة ولكن على أية حال هناك فرق .

ويتناول عبد الفتاح جلال مفهوم التربية والتعليم في الفكر التربوى الإسلامى بقوله « كلمة التعليم أعم وأشمل في الفكر التربوى الإسلامى من كلمة التربية فالرسول عليه الصلاة والسلام يعلم المسلمين تلاوة القرآن ولا تقتصر التلاوة

(١) عبد الرحمن النابى مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام ، المكتب الإسلامى ، بيروت . ١٤٠٠ هـ
ص ١٣ .

على مجرد القراءة وإنما هي تلاوة تدبر ، ملؤها الفهم والإدراك والمسئولية واستشعار الأمانة فينتقل بهم من هذه التلاوة إلى التزكية وهي تطهير النفس البشرية وتنقيتها من الشوائب وجعلها في حالة تسمح لها بتلقى الحكمة وتعلم كل ماينفعها ومالم تكن تعلمه :... أما التربية فالمقصود بها هو عملية الإعداد والرعاية في مرحلة النشأة الأولى للإنسان .^(١)

وهكذا فطبقاً لهذا الرأي نجد أن التعليم أعم وأشمل من التربية وهو هنا يشتمل على جوانب تطبيقية إلى جانب الجوانب المعرفية أو المعرفة بجانبها النظرى والتطبيقي ، « إن العلم الذى يسعى الإسلام إلى أن يتوافر في الإنسان هو العلم الشامل لجميع أنواع المعارف والمهارات والاتجاهات والذى ينعكس جلياً في سلوكه في كل جوانب حياته وفي كل تصرف يتصرفه » .^(٢)

أما عبد الرحمن البانى فيرى رأياً مختلفاً وقد اتجه في البداية إلى الناحية اللغوية ثم بعد ذلك إلى الناحية الإصطلاحية وبين أن للتربية ثلاثة أصول من الناحية اللغوية :

- الأصل الأول .. يعنى النمو .
- الأصل الثانى .. يعنى التشيئة .
- الأصل الثالث يعنى الإصلاح والرعاية .^(٣)

ويبدو أن الدكتور عبد الفتاح جلال قد اقتصر في توضيح الفرق بين التربية والتعليم على أصل واحد وقد يكون ذلك لاعتماده في وجهة نظره على الآيتين اللتين أوردتهما وهما من قوله سبحانه وتعالى ﴿ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ﴾ ، (الاسراء — ٢٤)

وقال ﴿ قال ألم نريك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك

(١) عبد الفتاح جلال . من الأصول التربوية في الإسلام ، المركز الدولى للتعليم الوظيفى للكبار ، سريس الليان منوفية جمهورية مصر العربية ، ١٩٧٧ ص ١٦ — ١٧ .

(٢) المرجع السابق . ص ١٩ .

(٣) عبد الرحمن البانى . مرجع سابق . ص ٧ .

سنين ﴿ (الشعراء — ١٨)

وهذه تتعلق كما يبدو من السياق بمرحلة الطفولة المبكرة .
والتربية كما أورد عبد الرحمن الباني تتكون من عناصر :

- أولاً : المحافظة على فطرة الناشئ ورعايتها .
- ثانياً : تنمية مواهبه واستعداداته كلها .
- ثالثاً : توجيه هذه الفطرة وهذه المواهب نحو صلاحها وإكمالها اللائق بها .
- رابعاً : التدرج في هذه العملية .^(١)

ومن هنا فإن التربية أعم وأشمل من التعليم وفي العصر الحاضر يقصد بالتعليم شيئاً آخر أقل شمولاً وأضيق معنى من مدلول كلمة التربية فالتربية تشمل جوانب الشخصية كلها وهي تستعين بوسائل متعددة ومتنوعة ومنها التعليم ومؤسساته الذى قد يكون مقصوراً على تحصيل المعرفة وزيادتها أما التربية فهي تتناول ما هو أشمل وأعمق في شخصية الفرد « التعليم يتناول غالباً المعلومات أى الناحية العقلية وقد يتناول إتقاناً لمهارة من المهارات والتربية تتناول ما هو أعم من ذلك إنها تتناول السلوك والعاطفة والاتجاهات الأخلاقية إيقاظ المشاعر السامية والتدريب على الخلق الجميل وكل عمل تعليمي جيد لابد أن يكون له هدف تربوي .. أى أن التعليم المثالي إنما هو تربية ولكنه في الاصطلاح — يظل مرتبطاً بموضوع ما .. فالتربية والتعليم ليسا متعارضين ولا منفصلين بل هما متآزران متكاملان » .^(٢)

وهناك من يرى أن الفرق بين التعليم والتربية هو فرق في المؤسسات والأهداف فالتعليم مؤسساته التي أنشأت لهذا الغرض وله أهدافه المتمثلة في الحصول على المعرفة أو اكتساب بعض المهارات والمؤسسة هنا هي المدرسة أما بالنسبة للتربية فإن المؤسسات متعددة بدءاً من الأسرة وانتهاء بأى مؤسسة قد تسهم في تنمية شخصية الفرد وهذه المؤسسات التربوية تتضمن أيضاً المؤسسات

(١) نفس المرجع . ص ١٢ — ١٣ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٢٤ — ٢٦ .

التعليمية أما هدفها فهو تنمية الفرد من جميع جوانبه .. ويقول محمد سيف الدين فهمي « إذا كان تعريفنا للتعليم بأنه العملية المقصودة التي تؤدي بواسطة مؤسسات أنشأت خصيصا لهذا الغرض ويقوم بها أفراد اختيروا ودربوا خصيصا للقيام بهذه العملية بهدف الحصول على معرفة أو اكتساب مهارة أو تنمية قدرات أو طاقات خاصة فإن عملية التربية أوسع من هذا وأعظم فالتعليم يكون جانبا من جوانب العملية التربوية أو عمقا من أعماقها والتربية لا تهدف فقط إلى توصيل معرفة أو اكتساب مهارة أو تنمية قدرة أو طاقة ولكنها بالإضافة لهذا وفوق هذا تهدف إلى تنمية الفرد من جميع جوانبه الروحية والخلقية والفكرية والمهارية والبدنية بل إن التربية لا تهدف فقط إلى إعداد المواطن الصالح للمجتمع بل تهدف عن طريق وسائلها إلى تنمية هذا المجتمع وتطويره وتحسينه »^(١)

ومع أنه قد يبدو أن هناك فرقا إلا أن هذا الفرق ليس كبيرا وينبغي النظر إلى التربية والتعليم نظرة متكاملة فهناك خطورة من تلك النظرة المنفصلة فالذين يذهبون إلى قصر التربية على تربية الأخلاق وتهذيب السلوك ويقصرون التعليم على أنه جمع للحقائق والمعلومات أى أنه يتناول جانب العقل فقط لا يتفقون مع نظرة الإسلام الشاملة للإنسان وينظرون إلى الإنسان على أنه مجموع أجزاء وهو ليس كذلك فأحيانا يطلق التعليم ويراد به التربية فقد يكون مشتملا على تعديل في السلوك والميول ولا يكون مجرد تجميع للعلوم أو تحصيل للمعارف ثم ما الفائدة التحصيل إذا لم يكن من نتيجة تعديل وتنمية السلوك إن النظرة المتكاملة مطلوبة وشيء ضروري حتى إن كان هناك فرق وإن التكامل بين المؤسسات المختلفة التربوية مطلوب حتى وإن تعددت وظائفها واختلفت أنماطها فالإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه كل متكامل لا يمكن أن ينفصل جسده عن عقله ولا عن روحه .

★ ★ ★ ★ ★

(١) محمد سيف الدين فهمي ، التخطيط العلمى ، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٦٥ . ص ١٢ — ١٣ .

أهداف التربية الإسلامية

تتعدد أهداف التربية بوجه عام لتتناول جوانب مختلفة طبقاً للفلسفات والأيدولوجيات والأفكار التي تنطلق منها، وموضوع التربية وأهدافها من الموضوعات الواسعة والمشاركة بين كثير من العلوم الاجتماعية ومن هنا تشعبت الاتجاهات في دراسة التربية وتشعبت وجهات النظر حول أهدافها والتربية ذات صبغة اجتماعية في أصولها ووظائفها فهي الوسيلة التي يستخدمها المجتمع ليشكل أفراده اجتماعياً ومن هنا كانت الوسيلة الأساسية لأي تغير اجتماعي والتربية عملية معقدة حيث إن أهدافها متعددة وطرائقها كثيرة ووسائلها شتى ومن هنا كانت صعوبة تحديد تلك العملية ونظرة إلى أهداف التربية نجد أن الآراء حولها تشمل الآتي .

١ - النمو : فالتربية تهدف إلى نمو الفرد من كل جوانبه جسداً وعاطفة وعقلاً واجتماعية ومعرفة ومهارة وسلوكاً وخبرة فهي تعنى بنمو الإنسان الفرد وفق ثقافة مجتمعه وقيمه وهي عملية نمو فردي واجتماعي وإنساني .

٢ - تحقيق الذات :

حيث تكون الذاتية الهدف الأسمى للتربية وعلى التربية أن تعنى بذاتية الإنسان من حيث هو إنسان ومن هنا يكون التركيز على مفهوم الحرية لما لها من شأن كبير في عملية التربية وتحقيق الذات .

٣ - التكيف :

والتكيف يعتبر ركيزة أساسية من ركائز التربية وهو من العمليات الأساسية في حياة الإنسان الاجتماعية فالإنسان يواجه كثيراً من المؤثرات الداخلية والخارجية ويحاول أن يكيفها ويخضعها لحاجاته ومتطلباته أو يحاول أن يتكيف معها وعندما تكون عملية التكيف متفقه مع حاجات الفرد ومطالب الجماعة فإنها تكون عملية فردية واجتماعية في نفس الوقت .

٤ — إعداد الفرد لمهنة :

هذا الهدف يتعلق بعملية إعداد الفرد لمهنة يؤديها يستطيع بها أن يكسب العيش، وأن يسهم في بناء مجتمعه وأن يعيش في هذا المجتمع معتمدا على نفسه متكيفا مع بيئته .

٥ — إيجاد المواطن الصالح :

غاية عملية التربية هي تحويل الفرد إلى مواطن صالح وفي إعداد هذا المواطن يكون الخير له وللمجتمع والإنسانية بوجه عام فبالتربية يتحول الإنسان إلى مخلوق اجتماعي يستطيع مواجهة الحياة ومشاكلها حتى يكون عضوا نافعا في المجتمع ويعمل على تطويره وتقدمه .

إن الأهداف كما تناولها علماء الفكر التربوي متعددة ومثل هذه الأهداف السابقة لاشك أنها أهداف مشروعة ولا يمكن إنكارها كأحد الأمور التي تسعى التربية إلى تحقيقها ولكن لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نقصر التربية على واحد منها فإعداد الفرد لمهنة هدف ولكنه ليس الهدف الوحيد وتحقيق الذات والتكيف هدفان ولكن الخطأ في جعلهما أهدافا نهائية مطلقة لأن هناك ضوابط وأصولا، وإطلاق التعميم بهذه الصورة يؤدي في كثير من الأحيان إلى الغموض ويحتاج إلى توضيح كل من التكيف وتحقيق الذات فقد تحقق الذات من خلال تربية العقل ولكن الإنسان ليس عقلا فحسب فهناك جوانب أخرى لا يمكن إغفالها وتحقيق الذات قد ينحرف إلى أمور لا تمت إلى التربية بصلة فما هو المعيار الذي تتحقق به الذات ومن الذي يضع هذا المعيار .

وما هي حدود تلك الذاتية ؟ إن الإسراف في الذاتية يكون على حساب جانب آخر وهو الجانب الاجتماعي فكيف يتم التوازن بين الجانبين والتربية عليها أن تشعر الفرد دائما بالمشاركة الاجتماعية مع أفراد المجتمع الذي يعيش فيه تلك المشاركة التي تربط الإنسان بمجتمعه وتجعله دائما يشعر بالانتماء إلى هذا المجتمع ثم إن قضية إعداد المواطن الصالح في حد ذاتها تحتاج إلى معيار فمن الذي يضع هذا المعيار ؟

ولأى مجتمع ؟ فما يصلح لمجتمع قد لا يصلح لآخر مما قد يتعارض مع مفهوم الفطرة التي فطر الله الناس عليها ﴿ فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ ، (الروم — ٣٠)

مما سبق يمكن القول أن ما ذكر من أهداف لا يصلح واحد منها لكي يكون هدفا نهائيا للتربية لأنها قد تصلح لأن تكون أحد الأهداف أو لأن تكون أهدافا فرعية جزئية لهدف التربية الإسلامية الأعم والأشمل ألا وهو تحقيق العبودية لله أن يصير الإنسان — كل الإنسان — عابدا ، ذلك هو الهدف الكلى للتعليم والتربية في الإسلام والذي يمكن أن يتفرع عنه العديد من الأهداف الجزئية والعبودية لله^(١) شرف للإنسان ، وشرف لكل المخلوقات ، فبها تتم عزتهم وبها يتحقق صلاح أمرهم . وقد قال الله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ ، (الذاريات — ٥٦)

وقال ﴿ إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ ، (الأنعام — ١٦٢ — ١٦٣)

ومن هنا نجد أن هذا هو الهدف الأساسى . والإيمان هو القضية الأولى للإنسان وموضوع التربية هو الإنسان كل الإنسان بعقله ووجدانه وعواطفه ومشاعره وجسمه وقيمه الاجتماعية وفطرته ومعاييره ومن هنا يمكن القول « إن هدفا لا يرتبط بقضية الإيمان سيكون غريبا عن بنية الإنسان بصفاته التي تميزه عن غيره من المخلوقات ... إن تحقيق العبودية لله تعالى في حياة الإنسان على مستوى الفرد والجماعة والإنسانية هو هدف التربية »^(٢)

والعبادة كلمة جامعة مانعة فكل عمل يعمل به الإنسان ابتغاء مرضاة الله من أقوال وأفعال وأعمال يعتبر عبادة طالما أنها تنسجم مع شرع الله فغاية التربية

(١) عبد الفتاح جلال . مرجع سابق ، ص ٧٩ — ٨١ .

(٢) عبد الرحمن البانى . مرجع سابق ، ص ٦٩ .

النهائية مرتبطة بالإيمان والعبادة مؤدية إلى السلوك الذى ينسجم مع هذا الإيمان .

والعبادة لا تقتصر على ما يطلق عليه الفقهاء العبادات وهى أركان الإسلام ولكن العبادة شاملة كل سلوك الإنسان وأقواله وأعماله فالعمل عبادة والسعى فى طلب الرزق عبادة وتنمية الجسم بالحلال من الرزق عبادة والاستجابة لأوامر الله واجتناب نواهيه عبادة وقيام الإنسان بدور اجتماعى بناء عبادة وإسهام الإنسان فى تحسين مجتمعه وتغيير ما به من سلبيات عبادة فأمر العبادة تشمل الدنيا والآخرة ولهذا فإن هدفا كهذا شاملا هو الهدف الأساسى للتربية الإسلامية .

ولاشك أن بناء الشخصية على أساس من الإيمان يجعل هناك وحدة فى المصدر ووحدة فى الاتجاه وتناغم وانسجام فى الشخصية واتساق فى القيم ويقضى على تمزق الشخصية ويث الطمأنينة والراحة والشعور بالأمن ويحرر العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله فهى تحرر من العبوديات الأخرى ولقد أورد عبد الرحمن النحلاوى الأثر التربوى للعبادات حيث قال :

- ١ — العبادات فى الإسلام تعلمنا الوعى الفكرى الدائم .
- ٢ — العبادات ترى المسلم على الارتباط بالجماعة المسلمة .
- ٣ — العبادة فى الإسلام ترى النفس المسلمة على العزة والكرامة .
- ٤ — العبادة فى الإسلام تجمع المسلمين تحت لواء عقيدة واحدة وتعلم المسلمين الحياة الشورية القائمة على التعاون والمساواة والعدل .
- ٥ — العبادة فى الإسلام ترى عند المسلم قدرا من الفضائل الثابتة المطلقة .
- ٦ — التربية على أساس العبادة تزود الإنسان بالثقة بالنفس المستمدة من الثقة بالله والأمل بالمستقبل .. والوعى ..
- ٧ — ثم إن تربية المسلم بالعبادة تجدد نفسه باستمرار .. بالتوبة التى تزيل عن قلبه وتصوراته ما قد يعلق بها من أدناس .. فالتوبة تطهير مستمر للنفس ..

وتعين على إعادة تكيف الإنسان مع نفسه ومع مبادئه ومع مجتمعه كما أنها ترى المجتمع على التسامح بين أفرادهِ .^(١)

وإذا كان تحقيق العبودية لله هو الهدف الأساسي للتربية الإسلامية فإن هناك أهدافاً أخرى يمكن اشتقاقها من القرآن الكريم والسنة الشريفة وهذه الأهداف العامة تنصف بأنها تبدأ بالفرد وتنتهي بالمجتمع الإنساني كله وأيضاً تبدأ بالدنيا وتنتهي بالآخرة في توازن واتساق كاملين بين الفرد والمجتمع من ناحية وبين الدين والدنيا من ناحية أخرى ولقد عرض ماجد الكيلاني .^(٢)

لهذه الأهداف كما تشتق من القرآن الكريم والسنة الشريفة فيما يلي :

أ — تعريف الإنسان بخالقه وبناء العلاقة بينهما على أساس من ربانية الخالق وعبودية المخلوق ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ ، (الأنبياء — ٢٥)

﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ ، (الذاريات — ٥٦)

ولبناء هذه العلاقة على أساس من العبودية الخالصة شددت هذه الأهداف على توجيه الفرد بكل عمل يمارسه إلى الله فربطت بين السلوك والاتجاه وهو ما يعرف في الإسلام باسم النية ، فالحديث النبوي يقرر : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » ... (رواه البخاري)

ب — تطوير سلوك الفرد وتغيير اتجاهاته بحيث ينسجم مع الاتجاهات الإسلامية ... ﴿ قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرن الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ﴾ ، (الأعلى ١٤ — ١٧)

ج — تدريب الفرد على مواجهة متطلبات الحياة المادية . ﴿ هو الذي جعل

(١) عبد الرحمن النحلاوي . مرجع سابق . ص ٥١ — ٥٦ .

(٢) ماجد عرسان الكيلاني . تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية . رسالة ماجستير منشورة ، جمعية عمال المطابع التعاونية — عمان ١٩٧٨ ، ص ٣٤ — ٣٧ .

لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴿١٥﴾
(الملك — ١٥)

د — بناء المجتمع الإسلامى القائم على روابط العقيدة الإسلامية وتشريعاتها وإبراز أهمية قيام هذا المجتمع واعتبار الانتماء إليه كمال الدين ودليلا لصحة الإيمان .
« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرهم الله إن الله عزيز حكيم ﴿٧١﴾ » (التوبة — ٧١)

ه — إعداد المسلمين لحمل الرسالة الإسلامية إلى العالم ﴿١٤٣﴾ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴿١٤٣﴾ ، (البقرة — ١٤٣)

و — غرس الإيمان بوحدة الإنسانية والمساواة بين البشر ﴿٥٢﴾ وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴿٥٢﴾ ، (المؤمنون — ٥٢)

وفي الحديث « يأيتها النالس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا أحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴿١﴾ »

وإذا كان تحقيق العبودية لله هو الهدف من التربية الإسلامية فإن هذا الهدف يشمل أهدافا فرعية متعددة ومتنوعة وبتعدد وتنوع فروع التربية قديمها وحديثها وما قد يستجد منها حيث أن منهجها من الله سبحانه وتعالى الذى خلق الإنسان ويعلم من خلق من جميع جوانبه ﴿١٤﴾ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴿١٤﴾ ، (الملك — ١٤)

ففى هذا الهدف تحقيق العبودية لله — تناول لقوى الإنسان وملكاته جميعا وفيه أيضا كل فروع التربية ، ففيه :

(١) رواه أحمد فى المسند ٥ / ٤١١ .

- ١ — تنمية لجسمه وحفظا لصحته وهذه هى التربية البدنية الصحيحة .
 - ٢ — وتقويما للسانه وإصلاحا لبيانه وهى التربية الأدبية .
 - ٣ — وثقيقا لعقله وتسديدا لتفكيره وأحكامه وهى التربية العقلية .
 - ٤ — وتزويدها له بالمعلومات الصحيحة النافعة وهى التربية العلمية .
 - ٥ — وتزويضا له على وسائل الكسب لعيشه وهى التربية المهنية .
 - ٦ — وإيقاظا لشعوره بجمال الكون ومعاونة له على التعبير عن هذا الشعور وهى التربية الفنية .
 - ٧ — وتعريفه بحقوق المجتمع الذى يعيش فيه وبما فيه من نظم وإعداده للمساهمة فى إصلاحه وهى التربية الاجتماعية .
 - ٨ — وتوسيعا لأفق شعوره بالأخوة العالمية وبما للآخرين من حقوق وهى التربية الإنسانية .
 - ٩ — وتوجيها مستمرا لأعماله على سنن الاستقامة حتى تتكون فيها العادات الصالحة والأخلاق الحميدة الراسخة وهى التربية الخلقية .
 - ١٠ — ثم تساميا بروحه إلى الأفق الأعلى بإطلاق وهى التربية الدينية ^(١) .
- هذه الأنماط من التربية هى بمثابة أهداف جزئية للتربية الإسلامية وهى متفرعة وغيرها من الهدف الأساسى وهو تحقيق العبودية لله وهى كلها ضرورية لتحقيق هذا الهدف أن يصير الإنسان كل الإنسان عابدا لله حقا .
- ومن هنا نجد أن للتربية الإسلامية بعض السمات التى تميزها :
- فأهداف التربية الإسلامية واضحة ومحددة خاصة تلك التى لا تتأثر بتغير الزمان والمكان وهى العبودية للخالق والعلاقة بين الخالق والمخلوق .

(١) عبد الرحمن البانى . مرجع سابق ، ص ٧١ — ٧٢ .

— لتفصل التربية الإسلامية الجانب التعبدى عن الجانب الاجتماعى حيث
لتفصل بين الدنيا والدين وبين الجانب الجسمى والعقلى والروحى .

قال تعالى ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا وأحسن كما
أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين ﴾
(القصص — ٧٧)

— تركز التربية الإسلامية على الجانب الأخلاقى والفطرة فتعمل على تربية
الأخلاق تربية أخلاقية واقعية لهذا نجد — كما ذكر أحمد فؤاد الأهوانى — « إن الدين
والأخلاق صنوان لايفترقان فى التربية الإسلامية لأن الدين والأخلاق حقيقتان
لاتنفصلان فى الديانة الإسلامية »^(١) والأخلاق فى الإسلام فردية واجتماعية فى نفس
الوقت فهناك مايتعلق بالفرد وهناك مايتعلق بالمجتمع .

— تتميز التربية الإسلامية بأنها ترى الفرد على التوازن بين مطالبه الفردية والمطالب
الاجتماعية فقيم الإسلام ثابتة والتربية الإسلامية تهتم كذلك بالأسرة وتجعلها المحور
الأساسى لتكوين المجتمع .

— التربية الإسلامية تعمل على تنمية الضمير أو الرقيب على النفس حتى لا تفرج
عن جادة الطريق مرتبطة بمهيمن أعلى هو الله .. ولا أخلاق بدون ضمير فالسلوك ينبع
من داخل النفس والتربية الإسلامية مرتبطة بالخالق وهذه أهم سماتها الفارقة بينها
وبين غيرها من النظم التربوية الأخرى ومن ثم فإنها توجه سلوك الفرد سواء فى داخل
الأسرة أو خارجها فى إطار المجتمع العام ، فالشريعة الإسلامية هى المعيار لكل القيم فى
المجتمع الإسلامى فما هو محمود فى الأسرة محمود فى النظام السياسى أو الاقتصادى
أو الاجتماعى ، والصدق ، والوفاء ، والأمانة ، والتعاون ، والتراحم ، والمحبة كلها قيم
ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان فى مفهوم التربية الإسلامية .

ومن هنا كانت واضحة الأهداف محددة المعالم شاملة لحياة الفرد والمجتمع عاملة
على إحداث التغيير فى نفوس الأفراد لتتغير المجتمعات وقد اكتسبت قوتها وشمولها

(١) أحمد فؤاد الأهوانى . التربية فى الإسلام ، دار إحياء الكتب العربية القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص ١٩ .

وثباتها من أنها تتفق والفطرة السليمة فكانت الموعظة والتعليم بما تمثل من جانب نظرى
 قيمى للسلوك وكانت القدوة هى الجانب التطبيقى وكان العقل هو الأساس فقد
 اعتمدت التربية الإسلامية على نقل القيم والعادات وتثريها على العقل حيث حث
 الإسلام على استخدام العقل والتدبر بدون إكراه لأنه لا إكراه فى الدين ولكون الدين
 ينسجم مع الفطرة .

— تكمن سمات التربية الإسلامية فى كونها مستمدة من الشريعة الإسلامية التى هى
 شريعة إلهية أوجدها خالق الكون فهى جزء من نظام الكون العام وحقيقة من حقائقه
 الواقعية ، هذا النظام الذى وضعه الخالق يعمل فى انسجام مع بقية الأنظمة الأخرى
 وللعقل الإنسانى دور كبير فى تنظيم الحياة واكتشاف أسرارها ولكن هذا ينبغى أن
 يكون قائماً على أسس يضعها الخالق القائل ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت
 السموات والأرض ومن فىهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم
 معرضون ﴾ (المؤمنون — ٧١) ومن هنا شاءت حكمة الله وإرادته ألا يترك
 الإنسان من غير موجه بل هداه ووضع الحقائق التى يحتاج إليها فى أداء دوره ووضع
 الأسس التى يفكر العقل فى ضوئها .

والشريعة الإسلامية التى تنبثق منها التربية الإسلامية هى شريعة عامة للبشرية
 جمعاء فى أى زمان ومكان لأنها تعبر عن فطرة الإنسان واستعداداته وتنسجم مع
 خصائصه وتتناسق مع أهدافه . وهى تنظر إلى الإنسان — مادة التربية — من حيث
 إنه كل لا يتجزأ ولا نجد ناحية من نواحي الحياة إلا واهتمت بها الشريعة إهتماماً كبيراً
 ووضعت لها الأصول والقواعد الضابطة والأنظمة . ولقد « قدمت الشريعة الإسلامية
 تفصيلاتها الكثيرة حول حياة الإنسان ومعالجة متطلبات جوانبها المتعددة ، فمن نظام
 روحى تعبدى إلى نظام اجتماعى متوازن ومن نظام سياسى شورى إلى نظام اقتصادى
 جماعى ومن نظام لأوضاع السلم إلى نظام لظروف الحرب ومن نظام خاص يضبط
 علاقة المسلمين ببعضهم إلى نظام عام يحدد العلاقة بينهم وبين الأمم الأخرى ومن
 نظام دستورى كلى إلى نظام قانونى تفصيلى »^(١) .

(١) محسن عبد الحميد . مرجع سابق ، ص ٦٦ .

ومن مقومات الشريعة الإسلامية أنها مرتبطة بقانون أخلاق ضابط بما للأخلاق من أثر كبير على سلوك الإنسان ونظامه القيمي ، الأخلاق التي تتعلق بالفرد وتحقيق مصالح البشر وحفظ دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالههم وحتى تفكيرهم . ومن شريعة تسعى إلى أن يرتقى الإنسان في ضوء الضوابط الأخلاقية التي رسمها الدين الحنيف وفي ضوء الواقع الذي يعيشه الأفراد فالشريعة تراعى طاقة البشر وواقعهم ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها وقدر طاقتها ولهذا كانت الشريعة واقعية وميسورة قابله للتطبيق في مجالات الحياة جميعها وفي كل زمان ومكان .

والشريعة الإسلامية اتجاهها جماعى وهى ليست جامدة لاتراعى تطورات الحياة بل هى شريعة تركت أبواب الاجتهاد مستمره بأصوله وضوابطه وقواعده وتركزت للعقل بمجالاته التى يجتهد فى إطارها .

★ ★ ★ ★ ★



التربية الإسلامية وتغيير النفس الإنسانية

يتمثل دور التربية الإسلامية في تغيير النفس الإنسانية في جوانب متعددة منها التعليم بمبادئه المختلفة ، ومنها تحقيق أهداف التربية الإسلامية التي تكلمنا عنها ومنها أيضاً ما يتصل بدورها في تغيير الطبيعة الإنسانية إلى جانب الميادين التي يمكن أن تحدث فيها تلك الأمور وبعض المؤسسات التي يمكن أن تضطلع بذلك . وفي هذا الجزء من الدراسة سيكون التركيز على كل هذه النقاط في محاولة لمعرفة كيفية تحقيق الأهداف والميادين التي يمكن أن تحقق منها تلك الأهداف وكذلك المؤسسات المختلفة وستكون البداية بميادين التربية الإسلامية .

◦ ميادين التربية الإسلامية

◦ وتغيير النفس الإنسانية

تتعدد ميادين التربية الإسلامية لتشمل الجوانب المختلفة في النفس الإنسانية وتشمل النواحي العقلية والجسمية والروحية وتتعدد أيضاً هذه الميادين للتوافق مع سنن التدرج التي يتم بها تعليم الإنسان وتربيته هذا التدرج الذي يتمثل في مخاطبة الناس على قدر عقولهم والذي صورته رسول الله ﷺ حينما أرسل معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن حين قال له : « إنك تأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإن استجابوا لذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة ، فإن هم استجابوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم وترد في فقرائهم ، وإياك وكرائم أموالهم فإن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب .^(١)

وفي هذا إشارة إلى التدرج في التربية والتعامل بالرفق للوصول إلى درجة من تربية النفس حتى تنطبع بخلق الإسلام وتتمثل ميادين التربية الإسلامية بتعددتها لتلقى الضوء على تعدد الأساليب المختلفة التي تنهجها في تناولها للفرد . ولقد ورد في كتاب الله تعالى ما يفيد ذلك فتوجد أربع آيات تحمل نفس تلك الميادين وهذه الآيات

(١) رواه مسلم في الإيمان ١ / ٥٠ ورواه غيره

الأربعة هي

قال تعالى :

﴿ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ ، (البقرة — ١٢٩)

﴿ هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ﴾ ، (الجمعة — ٢)

﴿ كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ ، (البقرة — ١٥١)

﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل فى ضلال مبين ﴾ ، (آل عمران — ١٦٤)

وبلاحظ أن الميادين الأساسية للتربية الإسلامية كما جاءت فى هذه الآيات تتناول الفرد الذى هو أساس التغيير وأداته والذى يعتبر تربيته وتغييره المقدمة المنطقية لتغيير المجتمع كما جاء فى الآية من قوله تعالى ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ ، (الرعد — ١١)

ففى الآية يعد تغيير ما بالأنفس مقدمة لتغيير المجتمع . وكيف يتغير ما بالأنفس؟ بالتربية .. فماهى تلك الميادين ؟ يرى ماجد الكيلانى أن الآية من قوله تعالى ﴿ هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ﴾ ، (الجمعة — ٢)

تمثل الإطار الذى يحدد ميادين التربية الإسلامية ومناهجها ويرى أن تلك الميادين تنقسم إلى ^(١)

(١) أنظر :

— ماجد عرسان الكيلانى . مرجع سابق ، ص ٣٧ — ٥٤ .

١ — ميدان العقيدة الإسلامية .

٢ — ميدان التزكية .

٣ — ميدان الإعداد الفكري .

٤ — ميدان الإعداد الوظيفي .

أولا : ميدان العقيدة الإسلامية .

ويعبر عن هذا الميدان في الجزء من الآية (يتلوا عليهم آياته) واللفظ القرآني من بين إعجازه أنه يتضمن المفهوم الواسع ويتضمن أيضا المفهوم الضيق فلقد وردت كلمة آية بمعاني كثيرة في القرآن الكريم وينبغي أن نستعرض تلك المعاني لكي نلم بها حيث أنها تمثل ميدانا أساسيا من حيث أولويته ومهمته ولقد وردت آية بالمعاني التالية :

١ — معنى المعجزة :

قال تعالى : ﴿ واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى ﴾ ، (طه — ٢٢ — ٢٣)

وقال ﴿ وجعلنا بن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين ﴾ ، (المؤمنون — ٥٠)

٢ — معنى العلاقة :

قال تعالى ﴿ قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا ﴾ ، (آل عمران — ٤١)

٣ — معنى البرهان على قدرة الله :

قال تعالى ﴿ وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون ﴾ ، (يس — ٣٣)

وقال تعالى ﴿ ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء

فيحيى به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴿٢٤﴾ ، (الروم —

٤ — معنى العبرة :

قال تعالى : ﴿٢٥﴾ فاليوم ننجيكَ بيدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ﴿٢٦﴾ (يونس — ٩٢)

٥ — معنى الآية القرآنية :

قال تعالى : ﴿٢٧﴾ وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون ﴿٢٨﴾ (النحل — ١٠١)

ومن هنا كانت كلمة آية تشير إلى عدة معاني تتمثل كلها في قوله تعالى ﴿٢٩﴾ يتلوا عليهم آياته ﴿٣٠﴾ ويتضح أن تلك المرحلة في هذا الميدان تركز على إبراز شواهد الربوبية وغرس الولاء للإسلام وغرس الاتجاهات الإيمانية في نفوس الأفراد وتشمل أيضا مضامين معينة تتعلق بأمور غيبية مثل ماورد في معجزات الأنبياء وظواهر الغيب والحياة والموت وتتناول أيضا ظواهر محسوسة مثل الكون ومظاهر الاجتماع البشري

ويلاحظ أن الرسول ﷺ قد بدأ بهذا الميدان ويتضح ذلك من خلال الآيات التي نزلت في خلال الفترة الأولى والتي تركز على أمور العقيدة الإسلامية وبنائها .

ثانيا : ميدان التزكية :

ويعبر عن هذا الميدان في الجزء من الآية « ويزكهم » وتعنى التزكية لغة الإصلاح والتطهير والتنمية وتتضمن أيضا تعديل السلوك بلغة التربية الحديثة وتعديل السلوك يعنى انتزاع ماهو غير مرغوب وتعزيز ماهو مرغوب وينصب ميدان التزكية هنا على تنمية الإنسان المسلم من جميع جوانبه وتهذيب سلوكه وتطهيره من العادات والتقاليد والقيم غير الإسلامية ثم إيجاد البديل بتعديل السلوك إلى سلوك مرغوب فيه وفي هذا الميدان يركز الإسلام على أسلوب الترغيب

والترهيب والموعظة لانتزاع غير المرغوب وغرس المرغوب إلى جانب التركيز على القدوة والتزكية كميدان من ميادين التربية الإسلامية نجده شاملا للجوانب المختلفة في الإنسان النفس والعقل والجسم .

فالإسلام يهتم بتزكية النفس ومجاهدتها والعمل على أن تكون متسقة مع الأهداف والأخلاق الإسلامية قال تعالى ﴿ ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ (الشمس — ٧ — ١٠) .

ويكون ذلك بالابتعاد بالفرد عن البيئات التي تنتكر للقيم الإسلامية لتوفير الحماية الروحية والفكرية والسلوكية فتمتكن التربية الإسلامية من الانفراد بتشكيل سلوكه وهناك دعوة لمخالفة غير المسلمين في كل حياتهم والتركيز على الصحة الطبية وتطبيق التعاليم الإسلامية في واقع الفرد والمشاركة الجماعية في الممارسات ودعوة إلى مجاهدة النفس والمحافظة عليها وتركيتها .

وتتدرج تزكية النفس في ثلاثة مراحل كما حددها القرآن الكريم وتناولتها السنة النبوية المشرفة حتى تبلغ السلوك متناه المرغوب به والمراتب هي الإسلام وتستهدف تعديل السلوك الظاهر ثم الإيمان حيث يتدعم السلوك الظاهر بالإيمان الباطن والإحسان حيث تتناسق مهارات التفكير مع التطبيق والانفعال لتعزيز الموقف الذي تحدده التربية الإسلامية .

ويركز الإسلام تركيزا كبيرا على تزكية العقل وذلك بالتفكير والمراجعة وعدم التقليد ويوجه العقل إلى البحث في الكون وأسراره ومحاولة اكتشاف قوانينه ويخاطب العقل دائما ويزكي القوم الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض .

والعقل من أكبر النعم ولهذا أوجب الله تعالى على كل إنسان حفظه وتنميته، بالعلم وتركيبته بمكارم الأخلاق وحرم عليه كل ما يؤدي إلى فساد ضياعه وأوجب على كل إنسان المحافظة على عقله وتنميته بالأخلاق الحسنة وتركيبته كذلك بالعلوم والمعارف وفي الإسلام لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه للإدراك والتفكير والتذكر والتدبر

والتفقه والعلم وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تحت الفرد على تحكيم عقله وتلومه على إهمال عقله وقبول الحجر عليه قال تعالى ﴿إِنْ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمَّ الْبَكْمَ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ، (الأنفال — ٢٢) .

والعقل في الإسلام له دوره في قضية الإيمان ومنهج الحياة ونظامها وقد حدد الإسلام دوره ووضع له القواعد والأصول لذلك ورسالة الإسلام تخاطب العقل وتوقظه وتبين له المنهج الصحيح للنظر إلى الأمور ويكمن منهج الإسلام في تربية العقل وتركيبته تربية تتفق مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها ويرجع ذلك إلى أن العقل مناط التكالييف وإذا ما اختل سقطت التكالييف وفسد العقل وفي المنهج يعمل الإسلام على « تفرغ العقل من كل المعتقدات والتصورات التي تتفق ومنهجه تلك المعتقدات التي لم تقم على يقين وإنما قامت على مجرد الظن والتقليد ويبدأ الإسلام رحلة طويلة مع العقل الإنساني للكشف عن هذه الانحرافات ويأخذ في نقضها واحدة تلو الأخرى ويستخدم طريقة الحوار بالأدلة لإقناع العقل ويسخر من الذين يلغون العقل .. ويدعو الإسلام العقل للتعرف على النفس وأسرارها ويدعوه إلى التعرف على الكون حوله والتأمل في سننه ^(١) »

وللإنسان عقل مدرك وطاقات تتناسب مع حجم المسؤولية والتكليف الذي كلفه الله به ولهذا كان على الإنسان أن يفهم نفسه ويفكر في آيات الله بالنظر والتمعن فيها وأن يكتشف سنن الله وأن يركي عقله قبل أن يضطلع بهذه المهمة ولو لم يكن للإنسان هذه القدرة على التزكية مأسندها الله سبحانه وتعالى إليه .

وتزكية العقل كما تناولها ماجد الكيلاني تشمل النقاط التالية : ^(٢)

١ — اعتماد النقد الذاتي بدل التفكير التدبري :

هذا التفكير الذي يفترض الكمال في صاحبه ويرثه من أى مسئولية في الأخطاء التي تحدث قال تعالى ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ

(١) عبد الرحمن عميق . التربية الإسلامية وأثرها في المجتمع ، في الاحتماد في الشريعة الإسلامية وبحوث أخرى . إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض . ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م ، ص ٢٧٩ . ٢٨٤ .

(٢) ماجد عرسان الكيلاني . مرجع سابق ، ص ٤٤ — ٤٦ .

ويعفوا عن كثير ﴿ ٣٠ ﴾ (الشورى —)

وهذه دعوة لأن يتحرى العقل دور صاحبه في كل ما يصيبه في أى : مان
ومكان .

٢ — تقرير التجديد بدلا من التقليد :

والتقليد هنا معناه عدم استعمال العقل واللجوء إلى المحاكاة مما يعطل العقل
ولهذا يستنكر القرآن الكريم الجمود ويدعو إلى التحرر من أوهام التقليد ﴿ وإذا
قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم
لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ﴾ ، (البقرة — ١٧٠)

إلى جانب التنبيه بالبحث في أسرار الكون والنفس وقوانين الوجود والعلاقات
الاجتماعية .

٣ — اعتماد التفكير العلمى بدلا من الظن والهوى :

يتضمن الإسلام منهجا علميا للنظر العقلى، فمن ناحية اتباع الظن يقول تعالى ﴿ إن
يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾ ، (النجم —
٢٣)

وقال ﷺ « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » ، (رواه البخارى)

وندد القرآن الكريم بمن يتبع الهوى ودعا إلى الثبوت من كل أمر ونهى عن
تبديد الطاقات السمعية والبصرية والعقلية في أشياء لأساس لها قال تعالى
﴿ ولا تنفق ماله لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه
مسئولا ﴾ (الإسراء — ٣٦)

وهذه دعوة إلى الثبوت وعدم إصدار الأحكام بتسرع ، ﴿ يا أيها الذين آمنوا
إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم
نادمين ﴾ (الحجرات — ٦)

ونبه إلى عظم نشر ما يسمع قبل أن يدرسه المختصون قال تعالى ﴿ وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولوردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا ﴾ ، (النساء — ٨٣)

٤ — إقرار التفكير الجماعى بدلا من الفردى :

إهتم الإسلام بالصالح العام وقررت توجيهاته مبدأ تبادل التأثير والتأثر فى أية ظاهرة اجتماعية قال تعالى ﴿ واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ ، (الأنفال — ٢٥)

وقال ﷺ « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » (رواه البخارى)

وقال « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » ، (رواه مسلم)

إن للإسلام منهجه العلمى الواضح للوصول إلى الحقيقة والمبنى على أسس سليمة تتمثل فى رفض الظن والتمسك باليقين وعدم التقليد الأعمى للسابقين والبحث عن الدليل والبرهان عن طريق البحث والمشاهدة والتركيز والتدقيق فى المشاهدة وهذه أسس هامة فى بناء العقلية العلمية الاجتماعية على مبادئ الإيمان والمنهجية العلمية ومبدأ العلمية والتجريبية دون اتباع الظن والوقوع فى برائن النظرية الخرافية فى فهم الأحداث والظواهر وتفسيرها .

أما فى ميدان تزكية الجسم فإن الإسلام يعمل على تنظيم حاجات الجسم بإباحة كل ما من شأنه أن يهبىء الجسم للنمو والصحة ﴿ قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾ ، (الأعراف — ٣٢)

ونظم الحاجات الجنسية وأكد كذلك على الابتعاد عن الإسراف لما له من آثار سيئة ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾ ، (الأعراف — ٣١)

وهذه دعوة إلى الاعتدال فى كل شىء حتى لا يكون الإسراف فى جانب يطغى

على جوانب أخرى فهناك توازن وتكامل ، ويتناول ذلك محمد رأفت سعيد فيقول : « يقدم الإسلام عطاءه المتكامل للإنسان بواقعه المادى والقلبى والعقلى وهو فى عطائه هذا لا يعلى جانباً على حساب الجوانب الأخرى ، وذلك لأن الإنسان خلقه الله وهذا العطاء المتسق والمتكامل آية من آيات الإعجاز ، وتمثل جوانب هذا الإعجاز فى أن الجانب المادى فى الإنسان يمثل البدن وما يتصل به من غرائز تحتاج إلى إشباع والبدن يحتاج إلى تنمية وتنمية البدن تأتى فى الدرجة الأولى بتقديم الطعام والشراب وهذا الطعام يحتاج إلى كسب من الإنسان ومن الكسب ما يكون حلالاً ومن الطعام والشراب ما يطغى على الجانب العقلى .. وإذا كان الطعام حلالاً قد يؤكل بقدر حتى لا يطغى على الجوانب الأخرى ومن هنا نهى الإسلام عن تناول الأطعمة التى تؤثر على العقل وجعل من تناول الطعام وسيلة لنمو البدن دون طغيان على الجوانب الأخرى » .

ولهذا كانت تركيبة الجسم أساسية من أجل الاعتدال والاتساق والتوازن ولتركيبة الجسم ينبغى أن تراعى الشروط المثمة لتلك التركيبة وهى :

١ — أن يكون الطعام حلالاً طيباً حتى لا يكون ذلك مفسدة للعقل والجسم ، غير مكتسب من حرام أو لا يحوى حراماً قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (البقرة — ١٦٨) ﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ (المائدة — ٨٨)

٢ — يأتى الأمر بتنمية الجانب الجسمى مع قيود تمنع أن يطغى ذلك على الجوانب الأخرى والإشارة هنا إلى الاعتدال وعدم الإسراف وهذا واضح فى عديد من الآيات القرآنية وفى حديث رسول الله ﷺ « ماملأ آدمى وعاء شراً من بطنه حسب بن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن لم يفعل فثلث طعام وثلث شراب وثلث للنفس » (رواه أحمد وابن ماجه والحاكم) .

(١) محمد رأفت سعيد . (الأصالة والمعاصرة فى الفكر الإسلامى » محاضرات الثقافة الإسلامية . كلية الشريعة قسم الثقافة الإسلامية الدراسات العليا مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٤٠٣ هـ ، ص ١٦ .

٣ — أن يراعى الإنسان حق الله في شكره ولا ينسى الفقير ويعمل الصالحات قال تعالى ﴿ ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ﴾ (الحج — ٢٨)

ويتصل أيضاً تركية الجسم بجانب له خطورته وهو ما يتعلق بالجانب الجنسي . وهذه الغريزة لم يغفلها الإسلام بل تناولها وعالجها وعمل على تصريفها في إطار من الشرعية فلا يوجد ما يسمى بالكبت الجنسي في الإسلام فجعل من الزواج المصروف الرئيسي المبارك مصدر الراحة والسكن والمودة والرحمة . ومن هنا كان الإسلام واضحاً في تناول جوانب الإنسان في انسجام وتوازن وتكامل .

ثالثاً : ميدان الإعداد الفكرى وتقديم المعارف :

ويعبر عن هذا الميدان في الجزء من الآية ﴿ ويعلمهم الكتاب ﴾ وهذا الميدان يركز على الأمور التي تتعلق بالمعارف والمبادئ والتشريعات والأمور التي تمد المتعلم بثقافة عامة والمهارات الفكرية والعملية التي تمكنه من تخطيط حياته وإدارة شؤونه المختلفة بشكل ينسجم مع وجوده القائم . وفي هذا الميدان يركز على استخدام أسلوب القصص القرآنى لدراسة عوامل قيام الحضارات وانهارها وأخذ العبر من ذلك وتطبيق سنن الله على الأحداث . واهتم الإسلام أيضاً في هذا الميدان بالتنظيمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية ووضع خطوطها العريضة وفتح باب الاجتهاد فيها فالإسلام دين عام شامل صالح لكل زمان ومكان ومن هنا كانت دعوته للاجتهاد وخصوصاً في الأمور الدنيوية كما قال الرسول الكريم ﷺ « أنتم أعلم بشئون دنياكم » (رواه مسلم)

رابعاً : ميدان الإعداد الوظيفى

ويعبر عن هذا الميدان في الجزء من الآية ﴿ والحكمة ﴾ وكما وردت « آية » في القرآن الكريم بعدة معانٍ فإن كلمة « حكمة » تتضمن أيضاً عدة معانٍ تتعلق بالمهارات الفكرية والعملية والعقلية ولقد وردت بالمعاني التالية :

١ — فهى تعنى العبرة :

قال تعالى ﴿ ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغن النذر ﴾ ،
(القمر ٤ - ٥)

٢ - وتعني الإتيان والإصابة :

قال تعالى ﴿ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْبَاقِيَ إِذَا شَاءَ فَصَلَ ﴾ ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴿ ،
(هود - ١) وفي الحديث الشريف « الحكمة الإصابة في غير النبوة » (رواه البخارى)

٣ - وتعني الحلول الملائمة :

قال تعالى ﴿ ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى
تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون ﴾ ، (الزخرف - ٦٣) وفي الحديث « الحكمة
ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها » (رواه الترمذى)

٤ - وتعني القدرة على التمييز بين الخطأ والصواب والنافع والضار :

قال تعالى ﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان
فضل الله عليك عظيماً ﴾ ، (النساء - ١١٣) وقال ﴿ يؤتى الحكمة من يشاء
ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب ﴾ ،
(البقرة - ٢٦٩)

٥ - وتعني الفهم والمعرفة :

قال تعالى ﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر الله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه
ومن كفر فإن الله غنى حميد ﴾ ، (لقمان - ١٢) وفي الحديث الشريف قال
ﷺ « أنا دار الحكمة وعلى بابها » ، (رواه الترمذى)

٦ - وتعني صواب الرأى وحسن النظر فى الأمور :

ففى الحديث الشريف « لاحسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلط على
هلكته ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها » ، (رواه البخارى)

٧ - وبمعنى حسن التقدير والإدارة والتصرف :

قال تعالى ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ، (النحل — ١٢٥) وقال ﴿وَقَتْلَ دَاوُدَ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ ، (البقرة — ٢٥١) والحكمة تعنى أشياء ومفاهيم متعددة فقد تعنى مواعظ القرآن الكريم وقد تعنى الفهم والعلم وقد تعنى النبوة وقد تعنى القرآن الكريم بما فيه من عجائب وأسرار ، وفى اللغة الحكمة هى معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم^(١)

وبخلاصة هذه المعانى أن الحكمة لها عدة جوانب جانب نظرى يتمثل فى المعرفة والفهم والقدرة على التمييز وجانب آخر تطبيقى أو عملى يتعلق بالإدارة ونفاذ البصيرة وإيجاد الحلول الملائمة إلى جانب جوانب أخرى .

فحسن التخطيط والتنفيذ والإدارة حكمة

والتعامل مع المشكلات والعمل على حلها حكمة

ونفاذ البصيرة واستنباط القوانين حكمة

وحسن التعامل ومخاطبة الناس حكمة

وفهم المبادئ التى تحكم السلوك أساليب التعامل معه حكمة

ومراعاة الاستعدادات والفروق الفردية بين الأفراد والتعامل معها حكمة

وفهم كل فرد لدوره أو كل جماعة لدورها وإتقان الدور حكمة

والانفتاح على ماعند المجتمعات الأخرى من تنظيمات ووسائل حكمة

فالحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها .

والملاحظ فى هذه الميادين الأربعة أنها تتضمن أمورا كثيرة وأنشطة مختلفة تتعلق بالنفس الإنسانية وطرق تربيتها ومجالات تغييرها فهى تتضمن تلاوة آيات الله باختلافها وتعددتها واللفظ يتلو فيه إيماء أما التعبيران يزكهم ويعلمهم الكتاب

(١) ماجد عرسان الكيلانى . مرجع سابق ، ص ٥١ .

ففيهما تعديل للسلوك وفيها تعلم بما فيه من أعمال للعقل وتوجيه وهما يشيران إلى
عملية بشرية تساهم في تعديل السلوك وبما يتضمن ذلك من مهارات فكرية
وعقلية وعملية وبما يتضمن أيضا إمكانية ما بالأنفس التي هو أساس تغيير
المجتمع .

★ ★ ★ ★ ★



تحقيق أهداف التربية الإسلامية

المؤسسات :

تتحقق أهداف التربية الإسلامية عن طريق المؤسسات التربوية المختلفة وعن طريق وسائلها المتعددة والأساليب المتبعة في ذلك ولاشك أن من بين هذه المؤسسات الأسرة إلى جانب المسجد والمدرسة وبعض المؤسسات الأخرى غير النظامية كوسائل الإعلام .

وتعتبر الأسرة من أهم المؤسسات التربوية في تحقيق أهداف التربية الإسلامية إلى جانب المسجد والمدرسة وسنتناول ذلك بإيجاز إنطلاقاً من أنه بتحقيق أهداف التربية الإسلامية يتغير ما بالنفس الإنسانية التي هي أساس تغيير المجتمع .

١ — الأسرة :

تبرز أهمية الأسرة والدور الذي تقوم به في حديث المصطفى ﷺ حيث قال « مامن مولود يولد إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » ، (رواه مسلم — البخارى)

وهذه إشارة إلى ما يمكن أن تقوم به الأسرة من تربية وتعليم للطفل . وتبرز أهمية الأسرة من كون الطفل يعتمد اعتماداً كلياً على والديه لفترة طويلة في مرحلة الطفولة وحتى في مرحلة المراهقة ويتعلم الطفل من أسرته المعرفة المتعلقة بأنماط السلوك والعادات والقيم التي يتشربها بالمحاكاة والتقليد والتوجيه والقدوة لها أثراً كبيراً ويتعلم أيضاً كل ما يرغب فيه من فضائل ويتعلم أولاً وقبل كل شيء اللغة وينمو معها يوماً بعد يوم وباللغة يستطيع الطفل أن يعبر عن أفكاره ومشاعره وبالتفاعل تنتقل القيم والعادات والتقاليد والأفكار والمفاهيم فالأسرة هي البيئة الطبيعية الأولى التي تتعهد الطفل بالرعاية والتنشئة الاجتماعية .

والأسرة هي إحدى المؤسسات الاجتماعية التي تغرس القيم الاجتماعية في نفوس

الأفراد من خلال التربية ولهذا اهتم القرآن الكريم والسنة النبوية بها باعتبارها تنظيمًا اجتماعيًا يقوم عليه النظام الاجتماعي كله وباعتباره ذات تأثير بالغ في تربية الطفل لما للمراحل العمرية الأولى من أهمية في تشكيل شخصية ولقد حدد القرآن الكريم المعالم الرئيسية للعلاقات داخل الأسرة بدءًا بالزواج وانتهاء بموت الفرد وأبعد من ذلك فلقد « أرسى القرآن دعائم ثابتة وواضحة المعالم محددة لكل فرد فيها ماله وما عليه من حقوق وواجبات وضمن للجميع حياة امنة مستقرة » (١)

قال تعالى ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ ، (الروم — ٢١)

وفي الأسرة تكمن مسئولية الوالدين في رعاية الطفل وتكوين العادات السليمة والاهتمام بصحته الجسمية والنفسية وعليها أيضا يقع عبء الاهتمام بالنواحي العقلية وطريقة التفكير والاهتمام بالناحية الانفعالية فيهما بانفعالاته ويعملان على معالجتها بطريقة سليمة ويعملان على أن يرى الطفل في جو من الاستقرار والأمن حتى تتكون الشخصية السوية وقد كان ﷺ يوصي بإظهار العطف والحنان للأطفال وقد كان يعامل الحسن والحسين رضوان الله عليهما بمتهى الرفق والحنان وقد أطل السجود مرة لأن الحسن رضى الله عنه كان متعلقا بكتفه فلم يجب أن يفزعه وقد أوصى بالمساواة بين الأبناء في العطف والحنان حتى لا تتأثر نفسية الطفل فيتأثر سلوكه .. وقد نظر الرسول الكريم ﷺ إلى رجل له ابنان قبل أحدهما وترك الآخر فقال له فهلاً سويت بينهما . (٢)

وقد اهتم الإسلام بالأسرة وبالتربية منذ الصغر بل نجد على ما قبل ذلك فقد تدخل لمصلحة الطفل قبل أن يولد لما للوراثة من أثر عميق على الصفات الجسمية والعقلية حرصا من الإسلام على إيجاد الجو الصالح للتربية وحرصا منه على أن ينشأ الطفل في بيئة سوية فاهتم الإسلام بالطفل قبل أن يولد ومن قبل أن يكون في بطن أمه وذلك لما للوراثة من تأثير ولما للأم من تأثير اجتماعي فالأم ترى

(١) عبد الفتاح عاشور . منهج القرآن في تربية المجتمع ، مطبعة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٧٩ . ص ٣١٢ .

(٢) على القاضي . أضواء على التربية في الإسلام ، دار الأنصار ، القاهرة ١٩٧٩ / ١٤٠٠ هـ ص ٤٧ .

أولادها على مارييت عليه قال ﷺ : تخيروا لنطفكم فأنكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم . رواه بن ماجه والحاكم والبيهقى .

وقال ﷺ : « إياكم وخضراء الدمن فيسأل سائل وما خضراء الدمن يارسول الله فيقول ﷺ : المرأة الحسناء في المنبت السوء »^(١)

ويقول (إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجهوا إلا تفعلوه تكن فتنه في الأرض وفساد كبير)^(٢)

فالطفل إذا لم ينشأ في بيئة طيبة وفي أسرة طيبة لا يمكن أن يرى التربية المنشودة فتلعب الأسرة كم المنظمة اجتماعية دورا هاما في نقل الأنماط التربوية الإسلامية لأفراد المجتمع حيث تقوم الأم بالدور الهام والأساسي في عملية التنشئة الاجتماعية فهي تقوم بالرعاية والحضانة للصغار خاصة في مرحلة الطفولة المبكرة بجانب أنها تقوم بدور كبير في عملية التنشئة الاجتماعية تلك العملية التربوية الهامة ولم يترك الإسلام هذه المرحلة دون أن يضع لها الأساس فتكلم عن الحضانة والقطام والرضاعة والتعليم والتربية والصحة النفسية وعالج المشكلات التي تواجه الأسرة بما يتناسب مع خصائص كل جنس وفي توازن تام فأما الاستمرار أو الانفصال بما يهدد الأسرة وحتى لا تكون هناك آثارا على التنشئة الاجتماعية للأطفال .

والتنشئة الاجتماعية عن طريقها نقل العادات والتقاليد والقيم الاجتماعية وهي أساسية لاستمرار المجتمع وبقائه وعن طريق التلقين والمحاكاة والتعليم يتقبل الأفراد أنماط السلوك ومن هنا تبرز أهمية القدوة في عملية التربية وخاصة في المراحل الأولى وتعنى القدوة توافقا للقول مع الفعل والوعظ مع السلوك .

ولاشك أن تلقين القيم وغرسها في نفوس الأطفال يجعل هناك نوعاً من التشابه في السلوك داخل الأسرة ونوعاً من الاتساق والانسجام بين الأفراد والتشابه في سلوك

(١) المعجلون في كشف الخفاء ومزيل الإلباس ١ / ٣١٩ رقم (٨٥٥) . وقال العراق

في تخریج أحاديث الإحياء : الدار قطنی فی الأفراد والرامهرمزی فی الأمثال من حديث أبي سعيد الخدري . قال الدار قطنی تفرد به الواقدي وهو ضعيف الإحياء ٢ / ٤٢ .

(٢) رواه ابن ماجه في النكاح ١ / ٦٣٢ وغريو

للأفراد يجعل الأسرة تعيش في نوع من الاستقرار الاجتماعي ، (فالتشابه في السلوك يحقق نوعاً من التضامن بين الأفراد وهذا ما عملت التربية الإسلامية على تعميمه على أفراد المجتمع من خلال تنظيم سلسلة من الضوابط الاجتماعية المختلفة التي تحكم سلوك الأفراد بدءاً من عملية تناول الطعام والإخراج وحتى طريقة تنظيم العلاقات الجنسية بين الزوجين ولهذا نجد الفرد في المجتمع الإسلامي محاطاً بأنماط من السلوك) .^(١)

إن مهمة الأسرة كنظام تربوي هي تنقية وتصفية الأنماط السلوكية غير المرغوبة في التراث الثقافي والتي لا تتناسب مع القيم الاجتماعية ولهذا تهتم التربية الإسلامية وتركز على القوة الضابطة عند الفرد حيث ترى ضميره ليصبح رقيباً على أفعاله في سره وعلانيته .

وتعمل الأسرة أيضاً على التنشئة الاجتماعية من خلال تشرب الأطفال المعايير الاجتماعية والعمل على تنظيم المراكز والأدوار لكل جنس حسب طبيعته وتركز على بعض العادات التي تضبط السلوك وتستخدم بذلك أساليب كثيرة منها الموعدة والقدوة والثواب والعقاب وذلك لكبح جماح بعض الرغبات التي قد تزيد عن الحد ، « والنظام الأسري طبقاً للتوجيهات الإسلامية لا يصل إلى ذلك باستخدام القوة فليس هدفه الانتقام من الأطفال وإنما الوسيلة هي الحب المتمثل في الأسرة والمودة التي تربط الأم والأب والأطفال . »^(٢)

والتربية الإسلامية تعمل على مراعاة طبيعة الطفولة دون مبالغة وتدعو إلى الجمع بين الرفق في الأطفال ومراعاة طفولتهم وبين حسن توجيههم ورفع معنوياتهم والنهوض بهم ولقد عملت التربية الإسلامية على .

١ — توجيه الأطفال وتأديبهم :

(٢) تقويم أخطاء الأطفال .

(١) Reubrn levery , The Social Structure of Islam , Cambridge Univerlity Press , 1969 ; P . 100 .

(٢) محمد قطب ، مرجع سابق ، ص ١٤٦

(٣) معاملة الأطفال حسب طبيعتهم : ^(١)

وقد قال ﷺ « إن الله رفيق يحب الرفق ويعطى على الرفق مالا يعطى على العنف ومالا يعطى على سواه » ، (رواه مسلم)
وعلى الأسرة يقع عبء تعليم الأطفال وتوجيههم في عادات الأكل والاستئذان وبعض العادات السلوكية الفردية والاجتماعية. إلى جانب أن الأسرة عليها أن تعمل على إشباع حاجات الأطفال كالحاجة إلى اللعب والحاجة إلى الانتماء والحاجة إلى المحبة والحاجة إلى التقدير والاحترام والحاجة إلى الأمن والسلامة .

وتعالج تلك الحاجات في ضوء توجيهات التربية الإسلامية . إن عدم إشباع هذه الحاجات يسبب مشاكل شخصية واجتماعية كبيرة .

إنه عن طريق التنشئة الاجتماعية يتم اكتساب الأطفال السمات الاجتماعية للمجتمع الإسلامى والتي تميزه عن غيره ومهمة الأسرة تثبيت ذلك بالقوة الحسنة . وتلعب الأم دوراً هاماً في التوجيه في السنوات الأولى من حياة الطفل وخاصة إذا ما حدثت هناك مخالطة بين الصغار في اللعب وتصبح مهمة الأم أكثر صعوبة وخصوصاً عندما تخرج إلى العمل ولاغضاضة من الناحية الأخلاقية في أن تعمل خاصة الأعمال التي تتفق وطبيعتها شريطة ألا يتعارض ذلك مع مهمتها في التربية والتنشئة الاجتماعية للأطفال في مراحل العمر الأولى فإذا تعارض العمل مع التنشئة الاجتماعية فإن التنشئة الاجتماعية أهم بكثير حاضراً ومستقبلاً .

إن الأسرة لا تحمل وحدها العبء في مجال التربية والتنشئة الاجتماعية وإنما هناك العديد من المؤسسات الأخرى ولكن دور الأسرة أهم أو أكثر أهمية خصوصاً وأن الطفل يعتمد عليها في مراحل الأولى كلياً إلى جانب أهمية تلك المرحلة في تشكيل نفسية الطفل وشخصيته .

٢ - المسجد :

يعتبر المسجد عاملاً أساسياً ومهماً لنشر التربية الإسلامية ويختلف دور المسجد

(١) عبد الرحمن النحلاوي ، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة . مكتبة أسامة ، الرياض .
١٩٨٢ ، ص ١٣٣ - ١٣٥ .

في التربية عن دور العبادة في الديانات الأخرى بمقدار اختلاف الديانات الأخرى عن الإسلام فليس هناك في الدين الإسلامي تلك الازدواجية بين ماهو ديني وماهو دنيوي فتظهر قيم الدين في معاملات الدنيا ويظهر الدين في كل أمور الدنيا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وتاريخ التربية الإسلامية يرتبط ارتباطاً كبيراً بالمسجد حيث تتجسد في تلك المؤسسة التربوية قوة الإسلام وفعاليته .

وينبغي الإشارة إلى أنه في بداية تكوين المجتمع الإسلامي كان الأثر التربوي للمسجد أكبر من الأثر التربوي للأسرة حيث كان الهدف الرئيسي تغيير تلك النفوس من الجهالة والضلال إلى النور والهداية والعلم ، ويمكن دور المسجد التربوي في أنه لاتمده مرحلة عمرية معينة فهو للكبير والصغير على السواء ويمتد أثره إلى كل مراحل العمر ويلعب دوراً كبيراً في تحقيق هدف استمرارية التربية .

وإذا كانت العقيدة هي العامل الأساسي في تغيير ما بالأنفس لتتغير المجتمعات فإن مهمة المسجد الأساسية تكمن في غرس العقيدة وتقويتها . ولقد مر دور المسجد بمراحل مختلفة عبر العصور فقد كان يمثل السلطة التشريعية والتنفيذية في الإسلام فهو مكان للعبادة ومكان لاجتماع الناس لمنافشة الأمور العامة الدنيوية وهو مكان لعقد الندوات واجتماع للجند ومقر للقيادة حيث تعبئة الجيوش ، ومقر للحكم ومدرسة ومحكمة وحلقات العلم « ولقد قامت حلقات الدراسة في المساجد منذ أن نشأ وأستمر كذلك على مر السنين والقرون في مختلف البلاد الإسلامية دون انقطاع »^(١)

ولم تقتصر رسالة المسجد في أى عصر من العصور على التعليم فقط بل كانت له أدوار كثيرة ففيه يتعلم الصغار بالقُدوة الحسنة وفيه يتعلم الصغار والكبار بالموعظة والقصص القرآني وفيه تقوى الروابط الاجتماعية وتتوثق الروابط الأخوية . « وروح المسجد روح تكامل واتحاد .. واستمر المسجد يؤدي دوره التربوي والتعليمي في جمع العصور الإسلامية .. وحتى عصرنا الحاضر .. واقتصر حين انتشرت

(١) احمد شلبي ، تاريخ التربية الإسلامية ، النهضة المصرية . القاهرة . ١٩٧٤ . ص ١٠٢ .

على بعض نواحي التربية ^(١)

وبدأ المسجد يلعب دوراً تعليمياً وتربوياً واجتماعياً إلى جانب دوره الدينى مرة أخرى حيث بدأ يعج بالدارسين فى مختلف الأعمار وذلك لنشاط بعض الجمعيات الدينية والخيرية ، إلى جانب أنه مازال يحتفظ بالدور الكبير فى تعليم القرآن الكريم وحفظه .

٣ - المدرسة :

تلعب المدرسة دوراً هاماً فى التربية الإسلامية حيث أن البيئة الاجتماعية فى المدرسة أوسع من بيئة المنزل وأكثر تنوعاً وأكثر ثراءً فيما تقدمه من خبرات مضبوطة وغير مضبوطة .

والمدرسة عامل أساسى من عوامل التربية حيث المرحلية والتنظيم وحيث دورها المميز فى غرس المفاهيم والقيم والمعتقدات وصقل الميول والاتجاهات لدى التلاميذ وحيث ماتقدمه من شتى أنواع العلم والمعرفة من قبل أفراد أعدوا خصيصاً للقيام بهذه العملية وأعدوا خصيصاً لتحقيق الأهداف التى أنشأت من أجلها المدارس .

ومن الممكن أن تكون المدرسة لها أدوارا مكمله لدور المسجد ودور الأسرة خصوصاً إذا كانت التربية تسير وفق نظام موحد وإذا كان التعليم يسير على أساس تحقيق أهداف التربية الإسلامية والعقيدة الإسلامية ومن الممكن بيان دور المدرسة فى الآتى :

إن المدرسة هى المكان الذى يمكن أن تساعد فيه الأطفال على تنمية عقولهم وحواسهم بطريقة منظمة ومخططة ومنسقة وذلك بتهيئة الجو المناسب لهم من حيث حرية السؤال والتعبير عن الآراء والمناقشة والإفصاح عن آرائهم بما يتناسب مع مستواهم العقلى .

وهى المكان الذى يمكن فيه إشباع رغبات الأطفال حيث يميلون فى المراحل

(١) على القاضى ، مرجع سابق ، ص ٥١ .

لأولى إلى اللعب الذى يمكن أن يتدرج إلى هذا النوع من اللعب الذكى الذى يتطلب تفكيراً مما يساعد على تنمية التفكير، إلى جانب أهمية المحاكاة والمقارنة والتعاون والمشاركة والانتفاء إلى فريق والتعود على النصر والهزيمة والتعلم من تلك المواقف .

والمدرسة هى المكان الذى يبدأ الفرد فيه بالشعور بتحمل المسئولية شيئاً فشيئاً على طريق التعود على مواجهة المشكلات والتخطيط لها وحلها بما يتناسب مع المراحل العمرية التى يمر بها الأطفال .

يمكن فى المدرسة تهيئة الجو المناسب الذى يشعر فيه الأطفال بالراحة النفسية والطمأنينة وذلك لاستعمال عقولهم والتفكير المتزن المبني على حقائق علمية وقواعد علمية سليمة حتى يتعرفوا على سنن الكون وقوانينه وعلى العلاقات السببية وربط الأسباب بالمسبب .

— المدرسة هى المكان الذى تتنوع فيه الخبرات والأنشطة المختلفة لكى تقابل الفروق الفردية التى توجد بين الأفراد ولكى تقابل النمو العقلى والنضج الانفعالى والنمو الجسمى الذى يمر به الأطفال مما يساعد على تنمية الجسم السليم والعقل السليم .

— فى المدرسة يمكن إبراز أهمية العبادات وممارستها فى تعلم الأطفال وتربيتهم وتعديل سلوكهم وتغيير ما بأنفسهم .

ولاشك أن هناك مؤسسات تربوية أخرى ينشئها المجتمع وهذه المؤسسات تلعب دوراً هاماً فى تربية الأفراد فى تحقيق أهداف التربية الإسلامية إذا ما كانت تلك المؤسسات معدة لتحقيق تلك الأهداف إلا أن المدرسة يقع عليها العبء الكبير وخصوصاً أن الطلاب يقضون فيها أغلب أوقاتهم .

وفيما يتعلق بدور المدرسة فى ترسيخ القيم الخلقية فإن المدرسة بحكم أنها مؤسسة تربوية تقوم على تربية النشء يقع عليها العبء الأكبر فيما يتعلق بتلك القيم والأفكار والمبادئ وقد تقوم بالآتى :

— قد تستخدم المدرسة طرقاً مباشرة ومقصودة وذلك بتناول هذه القيم صراحة في مواد الدارسة وشرحها وتأكيد ضرورة التمسك بها ويمكن استخدام القصص ومناقشة ما جاء بها وأخذ العبر منها ومعرفة السلوك الحسن الذي جاء فيها والسلوك السيء نتيجة ذلك .

— يعتبر النشاط المدرسى وسيلة هامة وفعالة في ترجمة المعلومات إلى واقع وإلى سلوك من خلال الممارسة ومن خلال الأدوار والمراكز التي قد يتقمصها الأطفال وترسخ القيم ويتعلم الأطفال قيماً جديدة وقد يتم ذلك عن طريق توجيه عملية التفاعل الاجتماعى .

— قد تمارس المدرسة الثواب والعقاب والترغيب والترهيب في تعليمها للقيم وفي تعليم الأطفال بعض القيم الخاصة بالمراكز الاجتماعية وتستخدم أساليب مختلفة في المدرسة لتثبيت بعض أنواع السلوك المرغوبة مثل إظهار الموافقة والمرح والجوائز وقد يحدث العكس فيما يتصل بالسلوك والقيم غير المرغوبة ومن الممكن للمدرسة أن تقدم نماذج حية للسلوك إما بالحديث عنها ومناقشة خصائصها بقصد الترغيب في هذه الأنماط السلوكية المقبولة والافتداء بها أو عرضها عرضاً محايداً وجعل الأطفال يصلون إلى مضامين مختلفة بأنفسهم :

— إن التوجيه الدائم والتربية السليمة أساس في تكوين الاعتقاد السليم إلا أنه من الأفضل التذكير في غرس القيم والمثل والمبادئ في نفوس الأطفال لأن هذا لا يحتاج في البداية إلى عناء. إلى جانب أن ضرب الأمثال والقذوة العملية وبيان ثمرات القيم وبيان أضرار مخالفتها يثير الطاقات الحيرة وإذا كان الترغيب وسيلة محبة في التربية فإن للترهيب ضرورة وله أثر كذلك ولهذا اهتمت التربية الإسلامية بأسلوب الترغيب والترهيب .

— إن تنمية التفكير العلمى لدى الطلاب في المراحل التعليمية المختلفة وتطبيقه فيما يواجههم من مشكلات وفيما يتعرضون له من قضايا تساعد على التصرف في المواقف المختلفة وعلى حسن الاختيار وتساعد على أيضاً في عملية التحليل الأخلاقى قبل اتخاذ القرارات .

— وتجدر الإشارة هنا إلى أهمية التعاون بين البيت والمدرسة حتى لا يهدم أحد الطرفين ما يبنيه الطرف الآخر ولو أن الأسرة تعاونت مع المدرسة في تحصين الطلاب بالقيم الخلقية لتحقيق الكثير من الأهداف فيما يتعلق بتربيتهم والقيم والمفاهيم والأفكار ولا يمكن إغفال أثر المؤسسات الإعلامية بهذا الصدد وعلى أية حال فالتنسيق مطلوب لكي تتم العملية بكفاءة وفعالية .

— على المدرسة بحكم أنها نقطة البداية للتغيير الفكري وتهيئة النفس للتغيير وتقبله والعمل من أجله عليها أن تنمي القيم الخلقية بين الناشئين وعليها أن تحول تلك القيم والأفكار من مجرد شعارات إلى مظاهر وأنماط سلوكية والمشكلة ليست في مقدار ما يستوعبه التلاميذ من قيم وأفكار ولكن في كيفية بناء هذه القيم وجعلها جزءاً من شخصيتهم وخير طريقة لتعلم القيم تكمن في المواقف الحية الواقعية للناشئين في المدرسة إلى جانب الأساليب الأخرى .

— يحتل المعلم مكان الصدارة بين القوى المؤثرة على الناشئين وفي بناء القيم والأفكار فهو نموذج حي مؤثر متحرك بينهم وهنا تبرز أهمية القدوة في التربية .
وللمعلم دور كبير في غرس القيم والأفكار بين الطلاب إنه تأثير إنسان في إنسان مما يملكه من سلطة تسمح له بإحداث التغيير في سلوك الطلاب إلى جانب أن الطلاب يتأثرون بالسلمات البارزة والسلوك المتميز للمعلم ويتعلمون منه القيم والأفكار وإلى جانب ذلك فإنه قد يكون بالنسبة لهم مثلاً أعلى يقلدونه ويحتذون به في سلوكه وتصرفاته .

— المعلمون يمثلون للقيم فسلوكهم ومركزهم الاجتماعي يعكس قيماً معينة وإن كانوا يختلفون فيما بينهم إلا أنهم يتشابهون فيما يعكسون من قيم مثل قيمة النظام والمعرفة واحترام الكبير

وتبدو العملية أكثر تأثيراً إذا ما كان هؤلاء المدرسون يمارسون أدوارهم ويسلكون من منطلق إسلامي وعلى أساس من القيم والأفكار الإسلامية

وقد يظن البعض أن القيم الخلقية وتنميتها من وظيفة مدرس الدين فقط

ولا تدرس إلا في حصة التربية الدينية وهذا مفهوم ليس صحيحا فتسمية القيم
الخلقية مسئولية جميع القائمين على شئون التربية في المدرسة وخارجها بل مسئولية
المجتمع بأسرة ومؤسساته المختلفة .

★ ★ ★ ★ ★

التربية الإسلامية وتغيير الطبيعة الإنسانية

للتربية دور في تغيير الطبيعة الإنسانية . والإنسان في نظر الإسلام مخلوق متميز ليس روحاً فقط ولا جسداً فقط فالطبيعة الإنسانية في نظر الإسلام طبيعة مزدوجة مكونة من حقيقتين؛ إحداهما روحية سماوية والأخرى مادية أرضية .

ومن هذه النظرة الدقيقة لم تتجه التربية في الإسلام لجسم الإنسان دون روحه ولا لروحه دون عقله وإنما اهتمت بكل الجوانب لأنها تحرص على أن يكون هناك اتساق وتكامل واتزان بين كل الجوانب الروحية والعقلية والمادية . ومشيئاً إلى هذا التركيب لطبيعة الإنسان قال تعالى :

﴿الذى أحسن كلَّ شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين . ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾ ، (السجدة — ٧ — ٩)

﴿ وإذا قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون . فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ (الحجر — ٢٨ — ٢٩)

فالإنسان وطبيعته في منهج الإسلام هو خلق الله سبحانه وتعالى الذى أعلن خلقه بنفسه وأسجد له ملائكته كما توحى الآيات السابقة وقلده أمر الخلافة في الأرض ﴿ وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ ، (البقرة — ٣٠) وعلمه وأدبه ، قال تعالى ﴿ الرحمن — علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان ﴾ ، (الرحمن ١ — ٤)

وقال ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ﴾ ، (البقرة ٣١ — ٣٢) وهدهد إلى الطريق المستقيم ووضح له طريق الخير والشر ﴿ وهديناه النجدين ﴾ (البلد — ١٠)

ومنحه حرية الاختيار ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ (المدثر — ٣٨)

وأعطاه الإرادة ليفرق بين الحق والباطل وبين الفجور والتقوى وبين الهدى والضلال قال تعالى ، ﴿.نفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها (الشمس ، ٧ — ١٠) وزوده بالإدراك ووسائله ﴿.قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفعدة قليلاً ما تشكرون ﴾ ، (الملك — ٢٣) وكرمه فقال ﴿.ولقد كرمتنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ ، (الاسراء — ٧٠) ووضع له منهاجاً للتربية يتناسب مع طبيعة النفس الإنسانية كما وصفها الإسلام وقابليتها للخير والشر فألهمها فجورها وتقواها .

هذا المنهج التربوى يتناول الإنسان بالتوجيه والرعاية من تاريخ ولادته ويتبعه طفلاً يافعاً وشاباً وكهلاً حتى آخر حياته هذا المنهج المتكامل وضعه خالق الجهاز آدمى وموجده والخبير بكل ذرة من ذرات تكوينه وبكل خلية من خلاياه وبكل خلجه من جلجلاته والعالم بما تحفيه نفسه وماتعلنه ﴿.ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ ، (الملك — ١٤) .

وفى الطبيعة الإنسانية ونتيجة لهذا التركيب العجيب نجد غرائز وصفات يرجع بعضها إلى الطبيعة الروحية ويرجع بعضها إلى الطبيعة المادية ويرجع بعضها إلى خاصية هذا التركيب « والروح وإن كانت شيئاً غامضاً إنفرد بمعرفته وحقيقته الله سبحانه وتعالى إلا أنها حقيقة لا يمكن إنكارها ذلك لأن نتائجها ليست خفية عنا وإنما هى مدركة ومعلومة لدينا فالاستشفاف عملية من عمليات الروح .. والحكم التنبؤى عملية من عمليات الروح .. واتصال الإنسان بالغيب المحجوب عن حواسه ... ونحن إن كنا لا ندرك كيف يتم هذا الاستشفاف وكيف يتم هذا التخاطر وكيف يتم الحكم التنبؤى فإن عدم إدراكنا لذلك لا يسوغ لنا أن ننكر وقوعه .. تماماً كما يحدث فى عملية التذكر والإدراك فنحن لانعرف كيف يتم التذكر وهو عملية من عمليات العقل ... ولكن عدم معرفتنا كيف يتم الإدراك لا يحملنا على إنكارها فهى حقيقة .. والإسلام ينظر إلى الإنسان والوسط الذى فيه كوسيلة التى تصل الإنسان بخالقه ومن ثم يهتم بها كل الاهتمام .

التوجيه والرعاية » (١).

ونتيجة لهذا التركيب الخاص للطبيعة الإنسانية نجد أن هناك « دوافع فطرية بعضها مادية حتى وبعضها روحى معنوى وبعضها الثالث مختلف عن هذا وذاك وهو خاصة بالإنسان ناتجة عن ذلك التركيب الخاص .. وبهذا التركيب العجيب فى الطبيعة الإنسانية يتحقق التنسيق من القوى المادية والروحية فى طبيعة الإنسان وبين النظام الروحى والمادى فى حياته الأخلاقية

وبالتوجيه العلمى الدقيق لهذه القوى والميول المادية والروحية والميول الخاصة الناتجة عن امتزاجهما وتركيبهما تتم التربية الإسلامية الأساسية ... ولهذا .. فإن فكرة كون الإنسان أكبر من مجموع أجزائه لها أهمية كبيرة فى ميدان دراسة الإنسان وتصوره بصورة متكاملة ، ثم فى تربيته وفقاً لتلك الدراسة والتصور المتكامل لجميع جوانبه المتكاملة .^(٢)

وتذهب كثير من الدراسات مع فكرة تصور الإنسان كصورة كاملة شديدة التعقيد لا يمكن دراستها فقط من جانب واحد أو من جميع هذه الجوانب سوياً أنه أكثر من ذلك فيخرج محمد لبيب النجى بالمضمون التالى بعد جولة مع النظريات والآراء التى تتناول الطبيعة الإنسانية « نهى بحثنا للنظريات المختلفة فى الطبيعة الإنسانية والمفاهيم التى حاول كثير من الفلاسفة أن يردوها للطبيعة الإنسانية متعللين بأسباب مختلفة حقيقية وغير حقيقية نهى هذا بنظرة إلى الطبيعة الإنسانية تعتمد على التكامل .. نظرة كلية تتسع لتشمل جميع العوامل المكونة لها ، وذلك نظراً لظهور أفكار واتجاهات جديدة وكشوف علمية أدت إلى أن تختلف النظرة العلمية للطبيعة الإنسانية اختلافاً أدى إلى تطبيقات جديدة فى التربية .. لأن هذه الطبيعة متكاملة لا تتكون من جسم مضاف إليه عقل ولكن

(١) أحمد عبد الرحمن الشريف ، « مفهوم التربية الإسلامية » . محاضرات الثقافة الإسلامية ، كلية الشريعة ، قسم الثقافة الإسلامية ، الدراسات العليا . مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٤٠٣ هـ ص ١٢ - ١٣ .

(٢) يوسف مصطفى القاضى ومقداد الجوين ، علم النفس التربوى فى الإسلام دار المريخ ، الرياض ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ، ص ٢٩ .

الطبيعة الإنسانية أبعد من ذلك فالكل أكبر من مجموع أجزائه» (١)
 أما الكس كارل في كتابه « الإنسان ذلك المجهول فيقول « إن الإنسان كل لا يتجزأ
 شديد التعقيد ومن المستحيل إيجاد فكرة مبسطة عنه فالإنسان الذى يعرفه
 الاختصاصيون ليس الإنسان المحسوس أو الإنسان الحقيقى ، إنما هو رسم تخطيطى
 يتكون من التخطيطات التى تسفر عنها الطرائق الفنية لكل علم من العلوم ، إنه فى
 آن واحد الجثة التى يفحصها علماء التشريح ، والشعور الذى يراقبه علماء النفس
 وأساتذة الحياة الروحية والشخصية التى تنكشف لكل واحد منا عندما يتأمل ذاته ،
 إنه المواد الكيميائية التى تكون الأنسجة البدنية وأمزجة الجسم إنه المجتمع الهائل من
 الخلايا المجموعة من الأعضاء والشعور التى تدوم زمنا والتى يحاول علماء الصحة
 والمربون توجيهها صوب كامل نموها ، إنه ذلك الكائن الذى لابد من أن يتغذى بلا
 انقطاع حتى يمكن أن تعمل الآلات التى هى عبد له . وهو إلى جانب هذا كله
 الشاعر والبطل والقديس ، إنه ليس فقط الكائن المعقد أشد التعقيد الذى يحلله
 العلماء بوسائلهم الفنية الخاصة بل هو أيضا جماع ميول البشر وتهيئاتهم ورغباتهم (٢).

إن الإسلام لا يقتصر فى نظره وتحليله للطبيعة الإنسانية على جانب واحد فقط
 ولا تقتصر نظره على زاوية واحدة فقط عقلية أو جسمية أو روحية إن الإنسان هو
 مجموع كل هذا إلى جانب خاصيته كإنسان وهذا لا يمكن أن يتصورها عقل بشرى
 ولا يعلم كنه الإنسان وطبيعته إلا الخالق سبحانه وتعالى ﴿ألا يعلم من خلق وهو
 اللطيف الخبير﴾ (الملك آية ١٤) وطبقا لهذه النظرة لمكونات الطبيعة الإنسانية نجد
 أن الدوافع والميول بعضها يكون ناتجا عن التكوين المادى وأخرى ناتجة عن التكوين
 الروحى ودوافع أخرى ناتجة عن إمتزاج التكوينين معا ودوافع إنسانية تتعلق بهذا المخلوق
 الذى لا يعلمه إلا الله ولما كانت هذه الدوافع لابد أن تشبع فإن الدين الإسلامى قد

(١) محمد لبيب النجى ، مقدمة فى فلسفة التربية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٣ ،
 ص ٢٤٦ .

(٢) الكس كارل ، الإنسان ذلك المجهول (ترجمة شفيق أسعد فريد) ، مكتبة المعارف بيروت ١٩٨٠ ،
 ص ٢١ .

جعلها مشروعة ووضع لها حدودا وشروطا لكي لا يحدث إفراط أو فساد . ونظرة الإسلام في إشباع الدوافع تنطلق من مبدأ التوازن الذى لا يخل بالشخصية ومن هذه الدوافع الدافع الفطرى إلى التدين قال تعالى ﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمَ وَلَكِن أَكْثَرَ النَّاسَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم — ٣٠) .

هذه الفطرة هى قوة فى طبيعة الإنسان تدفع الإنسان إلى معرفة الله سبحانه وتعالى والالتجاء إليه ويجد فى ذلك الانشراح والطمأنية . ولقد جاءت التربية الإسلامية منظمة لأفعال الإنسان وحرية ومنظمة لدوافعه وميوله وغرائزه المختلفة وذلك بتوجيهها لتكوين شخصية إنسانية متكاملة متسقة تتجه إلى غاية واحدة .

وللتربية دور فى تغيير الطبيعة الإنسانية ويدل على ذلك كثير من الآيات والأحاديث النبوية الشريفة فقد قال ﷺ فى حديثه الذى رواه البخارى ومسلم « مامن مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » ولهذا فالفطرة تقبل التوجيه والتعديل وفى الحديث القدسى (إلى خلقت عبادى حنفاء كلهم وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم وحرمت عليهم ما حللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانا . رواه مسلم)

إذن فللتربية دور ومنهج والمرى يستطيع تهذيب سلوك الناس ونفوسهم وتزكيتها بالأساليب المختلفة التى أوضحتها التربية الإسلامية التى تؤكد أن العملية التى يتم بها ذلك عملية بشرية فى إطار سماوى وليس أدل على ذلك مما فعلته التربية الإسلامية فى تغيير المجتمع الجاهلى بتغيير ما بنفوس أفرادهِ وما بطبيعتهم وهذا يوضح أهمية الدور الذى يلعبه الأفراد فى تغيير طبيعتهم أو السيطرة عليها : قال تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفَقُوا خَيْرًا أَنْفُسَكُمْ وَمَنْ يَوْقِ شَحْ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ، (التغابن — ١٦) .

وقال ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ ، (النازعات — ٤٠ ، ٤١)

وفيما يتعلق بإمكانية السيطرة على الدوافع والنزعات قال ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي

السُّرَّاء والضَّرَّاء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يُحِبُّ المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴿١٣٥﴾ ، (آل عمران ١٣٤ — ١٣٥)

إن الرسول ﷺ قد بعث مريباً ومعلماً^(١) ، رافعاً لواء التعليم والتزكية واضعاً المنهج ومطبقاً لمنهج الله سبحانه وتعالى فكان قدوة اقتدى به الصحابة وتخرجوا على يديه فغيروا ما بأنفسهم فتغير مجرى التاريخ .

لقد علم الرسول ﷺ ورى ودعا وهذب النفوس وزكاها وغير ما بها وعدل سلوكها بالأساليب التربوية المختلفة .

إن الإنسان لديه القدرة على تغيير ما بنفسه وأن يكبح جماح رغباته وإذا لم يكن كذلك فمن غير المعقول أن يطلب منه ذلك ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها وإذا لم يكن ذلك من إمكانية البشر فلماذا هذا الاختلاف بين البشر وبين المجتمعات ولماذا الفروق الفردية بينهم إن للإنسان دوراً هاماً رئيسياً .

إن البعض لديهم استعدادا للتربية أكثر من غيرهم ويرجع ذلك لطبيعة النشأة فللإنسان دور ولهذا وضع الإسلام المبادئ والأسس للتربية .

إن هناك إمكانية لتهديب الطبيعة الإنسانية وتربيتها وتوجيهها حيث يراد لها أن توجّه في ضوء التعاليم الإسلامية وفي ضوء ما اعترف به الإسلام من غرائز ودوافع فطرية ضرورية لدوام الحياة وتكوين الشخصية السوية . الطبيعة الإنسانية متكاملة وينبغي أن يتم التعامل معها من هذا المنطلق فلا يطفئ جانب من جوانبها على الآخر .

والمنهج التي تتبناه التربية الإسلامية ينبغي أن يكون قائماً على أساس الفروق الفردية والتدرج حسب مراحل نمو الدوافع والميول ومن هنا تكون التربية الإسلامية

(١) للمزيد من التفاصيل راجع : محمد رأفت سعيد ، الرسول المعلم ومنهجه في التعليم دار الهدى للنشر والتوزيع الرياض ١٤٠٢ — ١٩٨٢ .

قائمة :

« على أساس مدى استعداد قبول هذه الطبيعة للتغيير والتهديب والترقية والنمو ومدى طاقتها التحمل التدريبات المختلفة بحسب مراحل نمو دوافعها وقدراتها المختلفة في كل مرحلة من مراحل نموها الطبيعي مع ملاحظة طبيعة سيكولوجية الفروق الفردية في كل مرحلة من تلك المراحل » .^(١)

وقد قال رسول الله ﷺ « ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة » ، (صحيح مسلم)

★ ★ ★ ★ ★



(١) يوسف القاضى ومقداد يالچين ، مرجع سابق ، ص ٨٣ .

التربية الإسلامية وترسيخ القيم والأفكار والمفاهيم وتغيير ما بالأنفس

تلعب التربية دوراً هاماً في ترسيخ القيم والأفكار والمفاهيم عند الأفراد ولاشك أن سلوك الإنسان ينشأ عن ما بنفسه بغض النظر عن صحة أو صواب أو خطأ ما بالنفس فكما هو معروف أن أعمال الناس تأتي نتيجة لما يحملون في أنفسهم ولو كانوا يحملون أوهاماً فإنه يسلك طبقاً لذلك فتسلط الأوهام على الإنسان يحول بينه وبين رؤية المشكلة على حقيقتها .

ووضع الأفكار بالأنفس ينتج عنه عملاً أو سلوكاً معيناً وتغيير ما بالنفس يجعل سلوك الإنسان لائحاً يتغير وإذا تغير فسيتحقق التغيير الآخر الذي يخص الله سبحانه وتعالى .

والقيم هي أحد المحددات الهامة للسلوك وهي ضوابط اجتماعية تضبط التفاعلات والعلاقات بين الأفراد وهي التي تحدد السلوك المرغوب والسلوك غير المرغوب (فالقيم هي الأفكار التي تحدد ما هو حسن مقبول وما هو سيء مرفوض وهي متفق عليها بين غالبية أعضاء المجتمع ويولونها احتراماً عميقاً ويعملون على استمرارها وتوارثها)^(١)

فالقيم تكون جزءاً لا يستهان به في الإطار المرجعي للسلوك

وترجع أهمية التربية والدور الذي تلعبه في الطريقة التي يمكن أن يحصل بها الأطفال على قيمهم فهم يحصلون عليها من خلال التفاعل والتقليد والمحاكاة ومن خلال القدوة أي أنها تنتقل إلى حردما بما يمكن أن يطلق عليه العدوى الاجتماعية ؛ فالكبار يتدخلون منذ البداية في بناء النظام القيمي للأطفال سواء كان ذلك من خلال الأسرة أو من خلال المدرسة إلى جانب التفاعل الاجتماعي فالطفل يتشرب القيم تدريجياً من خلال عملية التنشئة الاجتماعية والتربية .

والدين الإسلامي هو المصدر الأساسي للقيم والأفكار المختلفة التي تحكم التربية .

(١) سيد أحمد عثمان ، علم النفس الاجتماعي التربوي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠ ص ٢٨ .

الإسلامية والتي تضبط سلوك الأفراد ، والنفس البشرية بفطرتها التي خلق الله الناس عليها تقبل هذه القيم التي جاء بها الدين الإسلامى وهذه القيم تسير تلك الفطرة وتقويها وتنميها وتزكّيها وتهذبها وتنظمها وتسخرها لإصلاح الفرد والمجتمع ولاينكر الدين

الإسلامى تلك القيم التي تتكون نتيجة للتفاعل الاجتماعى ولكن هناك حدود وهناك ضوابط ؛ فلا بد أن تكون تلك القيم متسقة مع شرع الله وألا تصطدم مع ما أمر الله ورسوله وألا تصطدم مع نص شرعى .

وسواء كانت القيم ثابتة أو متغيرة نتيجة للتفاعل الاجتماعى فإن كليهما يحتاج إلى تربية حتى ينتقل من جيل إلى جيل وحتى يكتسبه الأفراد ، وحتى يكون إطاراً مرجعياً يحكم سلوكهم ؛ فالشخص في حياته بصفة عامة تسيطر على سلوكه القيم ويقوم كل شئ في ضوء القيم السائدة عنده ؛ فسلوك الشخص هو تعبير وترجمة عن ما في نفسه .

إن الفرد هو الأساس والنصر يكتب في عقول الأفراد ونفوسهم والفرد في الإسلام هو صانع النصر وهو يحرك الأحداث مثلما هو باعث العقيدة وبقدر إيمان الأفراد وتربيتهم يكون سلوكهم وهذا يعنى الاهتمام بالجواهر لا بالمظهر وتجسيداً لجانب الكيف على الكم فالعقل المفكر الذى يدير أساليب استخدام السنن هو الأساسى .

ومن أهم عناصر القوة فى أى مجتمع هو الفرد المتمتع بالشخصية المتزنة المستقلة الواعية وبناء الدول والمجتمعات يقوم على أسس من :
القوة الروحية ، العقيدة ، فى نفوس الأفراد .

القوة العلمية والفكرية فى عقول الأفراد .

القوة النفسية بتربية الإرادة والعقل واستقلاله لاتباعته .

القوة المادية بالتخطيط المتبصر للحياة بكل جوانبها

وهذه كلها أسس تكتب فى عقول الأفراد ونفوسهم وبدونها لا يمكن أن يتحقق

التغيير المنشود

وموضوع التربية هو الإنسان بعقله ووجدانه ومشاعره وجسمه وقيمه الاجتماعية المختلفة ، والتربية ذات صبغة اجتماعية فهي الوسيلة التي يستخدمها المجتمع لكي يشكل أفراده ولنا في التاريخ عبرة فلقد أحدثت التربية الإسلامية تغييراً جذرياً ملحوظاً في المجتمعات شملت كل الجوانب الاجتماعية والفكرية في حياة الأفراد .

ولاشك أن هناك أسباباً كثيرة لنجاح التربية الإسلامية في تغيير تلك المجتمعات ذلك أنها تربية شاملة ومتكاملة تتمشى مع الفطرة الإنسانية السليمة وهذا مكنها من تحقيق بناء اجتماعي متكامل على نسق فريد في فترة وجيزة . لقد نتج عن تلك التربية الإسلامية أن تغيرت المجتمعات بل إننا يمكن أن نقول إن التربية الإسلامية قد غيرت مجرى التاريخ . ولقد ركز علماء التربية على أهم الجوانب في التغيير وهو الإنسان وأكدوا على أهمية الجانب النفسي فقد اشتد اهتمامهم به وتأكيدهم له باعتباره المحور الأول للتغيير الاجتماعي وباعتباره عصا التحويل ، فالمبدأ ومعرفته والإيمان به والإرادة القوية من خصائص النفس الإنسانية وعليها تبنى المجتمعات وهو ما عبر عنه رسول الله ﷺ في الحديث الشريف :

(يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها
قيل أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : لا ، إنكم يومئذ
كثير لكنكم غناء كغشاء السيل ، ولينزعن الله من قلوب
أعدائكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن . قيل وما
الوهن يا رسول الله ؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت)

إن الرسول الأمين ﷺ قد بين أن سبب ضعف الأمم وذلة الشعوب هو وهن نفوسها ولكي تغلب على ذلك لابد من تهيئة نفسية وتربية إسلامية تغير الأفراد فتتغير بهم المجتمعات .

وعندما جاء الإسلام عملت التربية الإسلامية على تهذيب سلوك الإنسان بمنحه قيماً اجتماعية جديدة وأنماطاً سلوكية لم يعرفها أفراد المجتمع الجاهلي .

— اهتمت التربية الإسلامية بالقيم الأخلاقية تلك الخطوط العريضة التي تحكم وتنظم السلوك الاجتماعي والتي تحمي المجتمع من التصدع الاجتماعي فأذكت وظيفة الضمير ليقف حارساً يقظاً يحول بين النفس وبين السوء من القول والفعل فيما يختص بها وفيما يختص بحقوق الآخرين وغرست القيم وأنماط السلوك في نفوس الناشئة حتى يشبوا عليها وحرصوا على عدم مخالفتها ويجعلوها إطاراً عاماً لسلوكهم . ويقول عبد السميع إمام فيما يتعلق بالقيم الخلقية (قامت الشريعة الإسلامية لتحقيق الأخلاق الفاضلة بتقويم الفرد وإصلاح الجماعة كما عنيت باستتاب النظام والأمن في المجتمع بنشر فضيلة الألفة بين أفراده حتى يكون كالجسد الواحد ... وإذا سمت أخلاق الفرد لا يكاد يصدر منه شر كما لا يكاد يخلو عمله من خير ... وإذا صلح الفرد واستقامت أخلاقه فقد صلح المجتمع ... وإذا صلح الفرد وشاعت المحبة بين المجموع استتب النظام وعم الأمن سائر المجتمع)^(١).

— لقد عملت التربية الإسلامية على تأكيد العلاقة بين الإنسان وخالقه دون واسطة من أحد فاهتمت بالعقيدة وتربية النفوس بالإيمان وتشديد البناء الاجتماعي على قاعدتين : نفسية وخلقية .

لقد وضع القرآن الكريم الخطوط العريضة التي توجه العملية التربوية في المجتمع الإسلامي ، إن الإنسان يسلك . في ضوء هذه العلاقة ويحسن دائماً أن هناك رقيباً

إن وحدة المصدر الذي تنبثق منه التربية الإسلامية والقيم الأخلاقية التي تحكم السلوك وترسم الطريق الذي يسلكه الفرد والمنهاج الذي يتبعه فيكون الضمير الحى اليقظ .

— إذا كانت التربية الإسلامية تعمل على ترسيخ الأفكار والمفاهيم والقيم فإنها لا تهتم فقط بالجانب النظرى المعرفى فالمعرفة النظرية غير كافية لتعلم السلوك

(١) عبد السميع إمام ، أثر تطبيق الحدود في المجتمع . القسم الرابع ، إدارة الثقافة والنشر ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٤٠٤ — ١٩٨٤ ، ص ٢٦٣ .

فتحقيق الهدف السلوكي من التربية لا يكفي فيه الفهم والمعرفة ولكن لابد من جانب تطبيقي ، ولهذا تعددت أساليب التربية الإسلامية وكان الاهتمام كبيراً بالسلوك وانصب الاهتمام أيضاً على القدوة إلى جانب الموعظة والعرض والشرح وكذلك الممارسة العملية لها في الواقع ؛ ومن هنا تبرز أهمية مرحلة الطفولة في ترسيخ الأفكار والمفاهيم والقيم فإن بناء النفوس إنما يتم خلال الزمن بعرض الأفكار عليها فكرة فكرة

الطفولة كمرحلة ترسخ فيها العقيدة أشار إليها رسول الله ﷺ فكل مولود يولد على الفطرة ووظيفة التربية هي أن يهيئ لهذا الطفل البيئة التي يتشرب فيها ومنها المفاهيم والقيم والأفكار فتترسخ في نفسه فتؤثر على سلوكه بعد ذلك . إن ترسيخ الأفكار والقيم لابد أن يخضع لمؤسسات تربوية ولا يمكن أن يترك لجانب الصدفة بدون علم ومنهج واضح ، ولقد أتاحت التربية الإسلامية للإنسان من وسائل التربية ما يطوع عملية صياغة الإنسان وترسيخ القيم والأفكار (إن الإسلام يتناول الفرد الإنساني من كل جوانبه في تناسق تام لا يهتم بجانب دون الجوانب الأخرى كما أنه ينسق بين النظم الاجتماعية في تساند وظيفي محكم فلا تصارع ولا تنازع بين النظام التربوي والنظام السياسي والاقتصادي ولهذا تعالج التربية الإسلامية النفس البشرية والحياة البشرية جسم وعقل وروح ممتزجة ومتراصة في كيان واحد^(١))

— تختلف الأفكار والقيم والمبادئ و المفاهيم والتي هي من ضمن ما بالأنفس — في درجة رسوخها وحينما تنغمس الفكرة في النفس ويتشرب الإنسان القيمة تصبح مصدراً للسلوك ومرجعاً يرجع إليه الفرد قبل أن يفكر في سلوك ما ولكن هذا الرسوخ وهذا الانغماس يختلف من فرد إلى فرد آخر وعلى هذا فهو في حاجة دائمة إلى تعديل وإلى تنمية ؛ فالأخلاق سلوك ظاهر يكمن وراءه قيم ودوافع رسخت في نفس الإنسان ودور التربية الإسلامية يكمن في عملية الترسيع وذلك لتغيير ما بالأنفس وتهيتها لإحداث التغيير

(١) محمد قطب ، مرجع سابق ، ص ٢٩ .

إن ترسيخ القيم والمبادئ والأفكار والمعتقدات والاتجاهات الإسلامية يجعل الفرد يعقل ويتدبر ويتفكر في سنن الكون وقوانينه ومحاولة السيطرة عليها وتسخيرها في خدمته .

— إن إمكانية تحقيق السلوك الخلقى وهو هدف من أهداف التربية الإسلامية لا تكون فقط بمجرد تلقين المعلومات وتقديم المواعظ في المدرسة أو البيت وإنما لابد أن تقدم للأطفال كموعظة وأن تترجم إلى واقع وذلك من خلال تحليلها وترجمتها إلى سلوك بحيث يصبح جزءاً لا يتجزأ من شخصية الأطفال .

إن الفكر لا تظهر ثماره إلا في التطبيقات العملية وهناك خطوره من الانفصال بين الفكر والمفاهيم والأفكار والقيم وبين تطبيقاتها والقرآن الكريم ينكر على المسلم أن يعلم بدون عمل فيقول سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ ، (الصف ٢ — ٣)

— يحرص الإسلام على أن يكون السلوك الصادر من الفرد منبثقاً عما بنفسه وعن قيمه وأفكاره وبوحى من ضميره دون إجبار أو إكراه حيث لا إكراه في الدين ؛ فالسلوك الذى يأتى نتيجة الإكراه أو الإكراه أو نتيجة الخوف أو الذى يسلكه الفرد نتيجة للتدريب والممارسة سلوك لا يتفق مع ما منحه الله للإنسان من عقل ومن حث على إعمال الفكر ومن هذا المنطلق كانت دعوة الإسلام للتفكير والتدبر وتحرى الدقة في الأمور فالتفكير هو الوجه الداخلى للسلوك .

ولتعلم القيم والمبادئ والأفكار والمفاهيم المختلفة نجد أن الإسلام وضع شروطاً معينة لكى تتم عملية التعلم على أحسن وجه ، ومنها :

١ — أن تمتزج النظرية بالتطبيق والممارسة العملية : فقيمة الفهم والاستيعاب أن يطبق الفرد ما يحفظه وما لديه من معرفة نظرية .
قال تعالى ﴿ .. وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ ثَبَاتًا ﴾ ،
(النساء — ٦٦)

٢ — مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين واستعداداتهم ؛ فالاستعدادات

والقدرات بين الأفراد متفاوتة ويجب مراعاة ذلك لكي تتم عملية التعلم بما يلائم استعداداتهم ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به ... ﴾ ، (البقرة — ٢٨٦)

(وعملية التعلم بأوسع معانيها ، تلك العملية التي يقودها ويشرف عليها المعلم تسير وفق سنن ولهذا كان لابد من معرفة طبيعة التعلم وشروطه وسننه التي يخضع لها لتسير في عملنا التعليمي وفق هذه السنن مستفيدين منها لامصادمين لها واكتساب المهارات وتكون الاتجاهات ورسوخ العادات كل هذا ذو علاقة وثيقة بالتعلم ^(١))

إن ترسيخ القيم والأفكار والمبادئ لتغيير ما بالأنفس عملية تخضع لأسس وقوانين ولكي تتم لابد ان تراعى السنن والقوانين حتى تتحقق عملية الترسيع .

★ ★ ★ ★ ★



(١) عبد الرحمن الباني ، مرجع سابق ، ص ٤٢ .

التربية الإسلامية والضبط الاجتماعي

تمثل التربية القوة الضابطة للتغير الاجتماعي حيث تتمثل السلطة الاجتماعية للتربية في طبيعتها الإلزامية التي بمقتضاها يتحتم على الأفراد في مختلف المستويات الأخذ بقواعد معينة فالتربية هي التوجيه والضبط والقيادة . ويشتمل الإسلام على مبادئ عامة وأساسية محددة للقواعد التي تحكم العلاقات الاجتماعية ولقد ترك الإسلام أمر تفصيلها لمقتضيات الزمان والمكان بحيث لا تتعارض مع مبادئه الأساسية ولهذا ترك الباب للعقل الإنساني في الاجتهاد وعمل على التوفيق بين مطالب الفرد وبين مطالب الجماعات داخل المجتمع ويعتبر ذلك من صميم عملية الضبط الاجتماعي في المجتمع .

ولقد جاء الضبط الاجتماعي في الإسلام وسطاً فلم يوسع من دائرة الجماعة التي تقضى على كيان الفرد وتكاد تلغى حدوده وخصائصه الفردية ولم تتوسع في دائرة الفردية إلى درجة الأنانية التي تفكك روابط المجتمع ؛ فالإسلام تتوفر فيه محاسن الفردية والجماعية وعملية الضبط الاجتماعي في المجتمع الإسلامي عملية لا تقوم على السلطة الخارجية ، بل تخضع للنظام التربوي الذي يتبناه الإسلام في إصلاح الفرد ؛ ليكون سلوكه ترجمة لما مآلى نفسه حيث تؤثر التربية على القيم الاجتماعية إلى حد كبير كما تناولت الدراسة قبل ذلك ، وهى هنا لا تخضع لمراقبة الأفراد فقط ولكنها تخضع أيضاً لمراقبة الله في السر والعلن .

ومهمة التربية الإسلامية وتأثيرها على الفرد هي تمكين أنماط الضوابط الإسلامية في سلوك الأفراد وجعلها التزاماً محبباً يعمل الفرد عن طوعية دون إجبار أو إكراه يثاب عليه الإنسان في آخرته ويشعر به وبأثره ويثاب عليه أيضاً في دنياه .

لقد وضعت التربية الإسلامية الضوابط التي تحكم العلاقات بين أفراد الأسرة ؛ لأنها الأساس الذي يقوم على عاتقه تربية الطفل .

ولعل أبرز اهتمامات التربية الإسلامية تكمن في تنظيم مجتمع الأسرة من حيث

العلاقات والحقوق والواجبات .

وينظر الإسلام إلى الأسرة على أنها أصل من أصول الحياة الاجتماعية والتي لا يمكن للمجتمع أن يقوم قياماً سليماً إلا على عاتقها .

وفي تكوين الأسرة على النهج الذي رسمه القرآن الكريم يجعلها مصدراً من مصادر تكوين المجتمع المسلم ، ويضمن لها الاستقرار النفسى ، والاجتماعى ؛ مما يمكنها من أداء رسالتها الأساسية فى تربية أبنائها على قيم الإسلام ومبادئه .

ولهذا كان تكوين الأسرة ضرورة اجتماعية ، وطريقها الزواج ، فحرصت التربية الإسلامية على تنظيم العلاقة بين المرأة وبين الرجل ؛ فقد قال تعالى ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً إن في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكرون ﴾ (الروم — — ٢١)

ولهذا كان اهتمام التربية الإسلامية بالفرد ؛ حيث إنه الأساس فى تكوين الأسرة ، ولهذا اهتمت التربية الإسلامية ببناء التوافق والانسجام فى ظل المودة والرحمة التى تجمع بين أفراد الأسرة بما يحقق الهدوء والأمن والطمأنينة والسكينة داخلها ولاشك أن هذا ينعكس على المجتمع .

ولقد حرصت التربية الإسلامية على تنظيم العلاقات الاجتماعية تنظيمًا دقيقاً يرتبط بالناحية السلوكية فى داخل الأسرة والجماعة ، ونظراً لأهمية هذا الموضوع فقد جاء الإسلام مركزاً على الأنماط التربوية الأسرية والقيم الأخلاقية المتعلقة بذلك بالتفصيل واهتم بكثير من الجزئيات الصغيرة ، ومنها على سبيل المثال :

— استئذان الأطفال كنمط سلوكى تربوى اهتم به الإسلام ، فالتربية الإسلامية تعالج السلوك كلياً وجزئياً فى آن واحد تحقيقاً لأمن الأسرة واستقلالها . قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضنكم على بعض كذلك يُبين الله لكم الآياتِ والله عليمٌ حكيم . وإذا بلغ

الأطفال منكم الحُلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم ﴿النور (٥٨ — ٥٩)﴾

— تحرى الدقة في الأنباء : كنمط سلوكي مرغوب فيه حرصاً من التربية الإسلامية على وحدة الجماعة وتماسكها وحرصاً على حرمة الأسر . كما نهى الإسلام عن الغمز واللمز والتنايز والسخرية والتجسس والغيبة حرصاً منه على احترام الآخرين وتماسك الأسرى والاستقرار ؛ ولهذا كانت التربية الإسلامية هادفة إلى تربية سليمة ليكون الفرد اجتماعياً إنسانياً متألفاً متماسكاً .

إن ترويض : الفرد على الخلق الفاضل وتكوين الأسرة المبنية على أساس المودة والرحمة هي السبيل إلى تكوين المجتمع وتنظيم العلاقات بين أفرادها ، فكانت هناك الضوابط الأخلاقية للأسرة والفرد وكان تغيير الفرد ليسلك وفق سلوك معين ووفق ضوابط أخلاقية نابعة من داخله غرست فيه بالتربية والتعليم .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الأحكام التي تتعلق بالأسرة في الإسلام جاءت تلبية للحاجات والمتطلبات المتعلقة بارتباط الرجل بالمرأة ومايتصل بذلك من تكوين الأسرة ووجود متغيرات تتعلق بذلك مثل القرابة والبنوه والميراث والانفصال ولهذا فإن تلك الأحكام ثابتة لا تتغير ؛ لأن الدوافع والحاجات التي بنيت على أساسها ثابتة لا تتغير لأنها حاجات فطرية ويقول عبد الله التركي بهذا الصدد (ولما كانت هذه الحاجات الفطرية ثابتة لا تتغير فإن الأحكام التي شرعت لتنظيمها وضبطها ومعالجة كل مايتعلق بها قد جاءت ثابتة لا تتغير ، جاء أكثرها قطعي الثبوت فهو ثابت بكتاب الله عز وجل وبالسنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ ، وأكثرها قطعي الدلالة كذلك ومالاشك فيه أن الخلاف في هذا الجانب من جوانب الشريعة قليل .^(١)

(١) عبد الله بن عبد المحسن التركي ، توجيهات الإسلام في نطاق الأسرة ، إدارة الثقافة والنشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ١٤٠٤ / ١٩٨٤ ص ١٨ .

— لقد وضع الإسلام الضوابط فيما يتعلق بتربية الأطفال وتكلم في إرضاعهم وحضانتهم وكفالتهم وحقوقهم وركز على حقوق اليتامى ووضع الضوابط لذلك. وركز على أهمية الحرية لحاجة من حاجات الأطفال وكون هذه الحرية في حاجة إلى توجيه وإلى سلطة ضابطة وإلى اتباع النظام والإرشادات لهذه السلطة على نحو يضبط سلوك الفرد ويرسخ القيم الأخلاقية والعادات المفيدة فالحرية في الإسلام منوطة بمسئولية وهذا ما يجب أن يراعى في تربية الأطفال . (فحرية التفكير منوطة بالمسئولية عن كل أدوات التفكير من سمع وبصر وعقل والتسرع في الحكم بدون علم صحيح من الأمور المنهى عنها والتي يُحاسب الإنسان عليها ﴿... ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً ﴾ ، (الإسراء — ٣٦)

وحرية العمل منوطة بالمسئولية عن نتائج هذا العمل إن خيراً فخير وإن شراً فشر ﴿... فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ ، (الزلزلة — ٧ ، ٨)

وحرية الطعام والشراب محدودة بالمسئولية عن الإسراف وعن شكر النعم وذكر اسم الله والابتعاد عن المحرمات من الأطعمة والأشربة .

﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾ ، (الأعراف — ٣١)

﴿ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق .. ﴾ ، (الأنعام — ١٢١)

.. والحرية في الكلام بشرط أن تبتعد عن الغيبة والنميمة وقول الزور واللغو والتفحش والسحر والتلفظ بكل سوء ... (١)

فالحرية في الإسلام ليست مطلقة ومن هنا كان للتربية الإسلامية سلطة ضابطة تستطيع بها أن توجه سلوك الأفراد وتمنعهم من الانحراف وتدلهم على حدود تلك الحرية فيما يتعلق بالفرد نفسه وبالآخرين وبالمجتمع وفي ضوء الحلال والحرام في الإسلام

إن هناك أموراً لا يملكها الإنسان وحدوداً لا يستطيع أن يتخطاها وهذا هو دور

(١) عبد الرحمن النحلاوي ، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة ، ص ١٤٩ — ١٥٠ .

التربية الإسلامية كقوة ضابطة في توضيح تلك الحدود والأشياء ويكون ذلك بالموعظة والحكمة، والقُدوة ويكون هذا قائماً على الإقناع، والإقناع وليست هناك مشكلة لأن الإسلام دين الفطرة وهناك في داخل الإنسان ما يجعله يتقبل تلك الحدود وما يجعله يشعر أن هناك قوة فوق قوته وإرادته وهو الخالق سبحانه وتعالى وهو الذي وضع تلك الحدود حماية للنفس والعقل وحماية للفرد والآخرين في المجتمع

إن التشريع الإلهي هو مصدر جميع الأنظمة بما فيها الأنظمة التربوية

إن دور التربية الإسلامية هو جعل تلك السلطة الضابطة تنطلق من داخل الفرد نفسه ترجمة لما بنفسه وذلك بتربية الضمير حتى تكون سهلة التطبيق محققة للأهداف .

الحدود والضبط الاجتماعي

لم يقف الأمر عند حد التربية والتعليم فيما يتعلق بالضبط الاجتماعي فهناك فروق اجتماعية وفروق فردية بين البشر وهناك النفس الإنسانية التي قال عنها رب العزة والجلال ﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ ، (الشمس — ٧ — ١٠)

فكان لابد من ضوابط أخرى خارجية وهذه هي الحدود المتعلقة بالجرائم التي يرتكبها الأفراد في حق أنفسهم وفي حق المجتمع . فلا يمكن أن تتوافر أسباب الأمن والهدوء والطمأنينة بالأخلاق وحدها رغم أنها ذات تأثير واضح على الفرد يمنعه من الخروج على أنماط المجتمع فالجريمة واقعة حتمية لا يخلو منها مجتمع ؛ ولهذا لجأ الإسلام إلى الردع فجاءت الحدود محددة وواضحة المعالم ومفصلة في القرآن الكريم ومطبقة في سيرة رسول الله ﷺ ومعروفة نتائج تطبيقها في الدولة الإسلامية على مر العصور وفي بعض الدول الإسلامية في عصرنا هذا .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الإسلام لا يبدأ بإقامة الحدود بل في بداية الأمر يهتم بالتربية الإسلامية تلك التي تبعد الأفراد عن الوقوع في الفساد ، إلى جانب أن دور

التربية الإسلامية فيما يتعلق بالحدود الشرعية يكمن في تعريف الأفراد بها وتوضيح الأمور المتعلقة بها وأهمية تطبيقها لصالح الفرد والمجتمع والأمة بأسرها .

﴿ تلك حدودُ الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم . ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين ﴾ ، (النساء ١٣ — ١٤)

والحدود بما تملكه من عامل الضبط لها دور كبير في التربية وهي طريقة الله في تحقيق الأمن والسلام في مجتمع المسلمين وحماية المصالح الأساسية للأفراد والجماعات . ولقد اتخذت التربية الإسلامية من الأساليب المتعددة ما يحقق لها ذلك فكانت هناك وسيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان هناك الترغيب والترهيب إلى جانب التركيز على القدوة الصالحة والوسائل الأخرى التشريعية ولهذا كانت الحدود والأهداف الرئيسية من تطبيق الحدود كأحد أساليب الضبط الاجتماعي هي :

١ — حماية الدين

وهي داخلة في تكريم الإنسان لأن التدين خاصة الإنسان دون سائر الحيوان ولهذا قرر الإسلام أنه لا إكراه في الدين .

٢ — حماية النفس والمحافظة عليها بحفظ الحياة الكريمة

ويدخل فيها الأمور المعنوية كالمحافظة على الكرامة والحرية ومنع الاعتداء على أى أمر من الأمور التي تتعلق بها بما يعد من مقومات حياتها من حرية العمل وحرية الفكر وحرية الإقامة وغير ذلك من عدم إثارة الفتن أو السعى بالفساد بين الناس الذى ينتج عنه تفكك الروابط الاجتماعية والعمل على إيجاد التعاون بين أفراد المجتمع .

٣ — حماية النسل

وتقوم هذه الحماية على أساس المحافظة على الأعراس. ولذا كان من محاسن الشريعة الإسلامية أن جعلت أمر النساء محاطاً بالمحافظة وجعلت الدفاع عن

العرض من الواجبات الدينية ... كما شرعت آداب المنازل كطلب الإذن بالدخول وغير ذلك من الآداب السامية .

٤ — المحافظة على المال

وتكون هذه المحافظة بمنع الاعتداء عليه بالسرقه أو الغصب أو السلب أو النهب وغير ذلك ، كما تكون بالعمل على تنميته ... ووضعت الشريعة الأحكام المنظمة له .

٥ — المحافظة على العقل

لقد كرم الله الإنسان بعقله وبه فضله على باقي مخلوقاته ... وكانت التكليف الشرعية ، إذ جعل مناط التكليف العقل فبه يفكر ويعقل ويعرف النافع من الضار والخير من الشر ؛ ولذلك أمر الله بالمحافظة على العقل الذى اختص به الإنسان وحرم الاعتداء عليه بما يضره من تناول المسكرات والمخدرات ... وذلك لأن الإنسان إذا ما أصيب بآفة فى عقله أصبح عبثاً على المجتمع ومصدر شر وأذى للجماعة . (١)

إن الحدود التى شملتها الشريعة الإسلامية وضعت كوسيلة للردع والضبط الاجتماعى من أجل صيانة الضرورات الخمس الدين والنفس والعرض والمال والعقل من أجل حماية الفرد وحماية المجتمع من كل من تسول له نفسه الاعتداء عليها . والعقاب يساعد منع الأفراد من اقتراف الجرائم ذلك لأن النهى عن الفعل وعن ارتكاب الجرائم لا يكفى وحده لحماية الفضيلة فكانت هناك أساليب العقاب والردع المختلفة الغرض منها حماية الفضيلة وحماية المجتمع وكذلك المنفعة العامة وما من حكم فى الشريعة إلا وفيه مصلحة للناس ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . (يونس — ٥٧)

إن الحدود الشرعية بما تمثله من ردع سبب فى إصلاح المجتمع واستقراره وأمنه لأنها تقوم على العدل التام فليس هناك فرق فى تطبيق تلك الحدود إلى جانب أنها

(١) محمد خاطر ، أثر تطبيق الحدود فى المجتمع ، القسم الثالث ، إدارة الثقافة والنشر ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ، ١٤٠٤ — ١٩٨٤ ، ص ٢٠٣ — ٢٠٦ .

متدرجة فبقدر الجريمة يكون الحد وتكون العقوبة بالإضافة إلى أن العقوبة قد راعت طبيعة الإنسان وحماية المجتمع كما أنها تتميز بالسمو والدوام والاستقرار فقواعدها ونصوصها من المرونة والعموم بحيث تتسع لحاجات الجماعة مهما طال الأزمان وتعددت الحاجات فهي من عند الله خالق الإنسان ﴿وَلَا يَعْلَمُ مِنْ خَلْقٍ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ، (الملك — ١٤)

ولقد راعى الإسلام كذلك أن علاج الجريمة يكون من داخل النفس ولهذا كان له منهجه في التربية الإسلامية لتحقيق الأخلاق الفاضلة بتقويم الفرد وإصلاح الجماعة ودخلت مع الفرد في حقيقة نفسه وأقامت من ضميره حارساً عليه في حركاته وأفعاله وسكناته وبما وضعت له من ضوابط ، تلك الضوابط التي وضعت للمحافظة على هذا الإنسان الذي يتباين تبايناً كلياً عن كل الخلائق التي تعمر الكون فهو (يختلف عن الحيوان وغرائزه بالضبط والإرادة و يختلف عن الملائكة بإرادته واختياره و يختلف عن الجن بكثافته وتناسق أعضائه)^(١)

وصدق الله تعالى إذ يقول ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ ، (النمل — ٨٨)

﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ ، (التين — ٤)

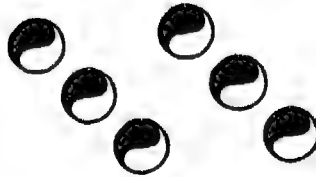
هذا الإنسان الذي صلح واستقامت أخلاقه وما بنفسه صلح المجتمع ؛ ولهذا اهتمت التربية الإسلامية بالقاعدة الصلبة التي إذا ما نشأ عليها الأولاد كانوا في مأمن واهتم بعملية تربيتهم ليتعودوا على الأخلاق في معاملاتهم فهم خط الدفاع الأول الذي انصب عليهم التركيز في مهدهم وفي مراحل نموهم وقبل ولادتهم ، وعمل على تربية الضمير الحى الذى يكون رقيباً على الفرد فى جميع أعماله وحارساً يحول دونه ودون اقتراف محارم الله فلاشك أن الوقاية خير من العلاج ؛ ولهذا وضع الإسلام حواجز تمنع الجرائم قبل وقوعها ومن أكفأ هذه الحواجز التربية بأساليبها المختلفة .

(١) عبد الرحمن عميو ، مرجع سابق . ص ٢٨٣ .

ثم إن العبادات لها صفة الضبط والتحكم في الإرادة ولها أثرها التربوي .
وأعمال الإنسان كلها عبادة مادامت وجهتها لله سبحانه وتعالى وهي ترى النفس الإنسانية لما فيها من تنظيم وضوابط (إن الإسلام بحكم أنه دين ودولة قد نظم شعون الدنيا والآخرة في صورة دينية متكاملة فكما تحدث الدين الإسلامى عن الله والملائكة واليوم الآخر والعبادات ، تحدث عن الزواج والطلاق والميراث والبيع والشراء والعلاقات الاجتماعية بين الفرد والمجتمع ، وغيرها من شعون الدنيا ، ووضع لهذه وتلك القوانين والنظم وألزم المسلمين باتباعها ، وحدد عقوبة المخالفين والعصاه تحديداً مفصلاً أو تحديداً مجملاً ترك تفاصيله لأفراد المجتمع وربط ذلك بالعبادات (١)

ومن هنا هدفت التربية الإسلامية من العبادات إلى تهذيب الخلق لتكوين الفرد الصالح والمجتمع الصالح فالدين المعاملة ، والتربية الإسلامية تمكن الإنسان من أن يصون حقوقه وحقوق الآخرين ، ومحور هذا كله العبادات التي ترمى إلى تكوين الفرد الفعال المشارك للحياة الذى يشعر بمسئوليته الفردية أمام المجتمع وأمام الخالق .

★ ★ ★ ★ ★



(١) أحمد شلى ، مقارنة الأديان الثلاثة . النهضة المصرية القاهرة ١٩٦٥ ص ٢٢٤ .

التربية الإسلامية والتغيير الاجتماعى

الإسلام كل لا يتجزأ ونظمه مكملة بعضها البعض وحدث التغيير فى مجال من المجالات أو فى نظام من النظم لابد أن يصحبه التغيير فى النظم الأخرى وإلا حدث خلل فى البناء الاجتماعى

والتنسيق المحكم بين النظم المختلفة فى المجتمع الإسلامى هو ما يتسم به الدين الإسلامى فى تناوله للإنسان ومجتمعه فلا تصارع ولا تضاد بين النظام الاقتصادى والنظام السياسى والنظام التربوى فالمصدر واحد والهدف واحد والاتجاه واحد .

والإنسان هو الأساس فى أى نظام من النظم الاجتماعية وعلى هذا فإن تغيير هذا الإنسان من خلال نظام تربوى إسلامى سيكون له أثره فى النظم الاجتماعية الأخرى تلك النظم التى وضع الإسلام لها الخطوط العريضة والمبادئ

ولقد اعتبر الإسلام الإنسان قيمة حقيقية وركناً أساسياً فى الحياة بما أودع الله فيه من قدرة جسمية وعقلية وقابلية للتكيف المستمر وعليه أن ينظر إلى ماحوله ليجد آيات الله فى كل مكان وفى كل مظهر من مظاهر الحياة وليجد قوانين الله ظاهره وسننه واضحه فيتحرك للإستفاده منها والكشف عنها وتسخيرها لخدمته .

إن على الإنسان أن يتحرك وأن يغير وأن يبدل ويبنى ويأخذ بالأسباب ولا ينتظر المفاجآت لأنه بطل التغيير .

والحركة والتغيير لا يمكن أن تنبأ إلا إذا غير الأفراد مابأنفسهم وأخذوا بالأسباب وتحركوا بتخطيط وتنظيم أما إذا حدث عكس ذلك فإن القانون الإلهى سوف يحدث حين ينعدم الإصلاح والتخطيط والتنظيم وحين ينعدم تغيير مبالنفس .

وتعتبر التربية أحد العوامل الأساسية فى التغيير الاجتماعى إن لم تكن العامل الأساسى حيث ترتبط بالإنسان صانع التغيير ويقول محمد فؤاد حجازى (ويمكن القول بأن التربية هى العملية الواعية الموجهة توجيها يتفق واستحداث التغييرات المطلوبة فى سلوك الأفراد والجماعات فى كل متكامل والتغيير لابد أن يحدث فى كل

مجتمع إنسانى من خلال التغيير الذى يحدث لأفراده .. هذا ومن أبرز معالم التغيير الاجتماعى الذى يحدث .

نتيجة للتغيير فى النظام التربوى تغير الأنماط السلوكية حيث أن التغيرات التى تحدث فى المجتمع إنما تظهر فى سلوك الناس ..^(١)

إن التربية تعتبر أساس كل تقدم وعليها تعتمد جهود الإصلاح والتغيير ويمكن بالتربية أن تعالج التغيير فى كافة ميادين الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ولكي تعالج التغيير بنجاح عليها أن تجعل هذه المعالجة فى صورة شاملة متكاملة وليس فى نطاق واحد ضيق أو ميدان واحد على حساب الميادين الأخرى . ولقد شمل القرآن الكريم من المبادئ ما يجعل التربية الإسلامية قاعدة للانطلاق وطاقه للتغيير والتطوير مستمدة من الإيمان بالله والأخذ بالعلم وبأسباب العلم وشمل أيضاً من الوسائل والأساليب ما يساعد الإنسان فى الوصول إلى الحقيقة .

وتشمل المبادئ التى توجه التربية فى الإسلام مايلى :

١ — التعليم ضرورة من ضروريات الإسلام وفريضة على كل فرد :

لقد دعا الإسلام المسلمين إلى التعلم وبعث فيهم رسولا يعلمهم ويذكهم ويعدل سلوكهم وعلاقاتهم ويقسم شؤون التنظيم والبناء الاجتماعى على أساس من العقيدة الراسخة ، ولهذا أتت كثير من الأدلة تحض على التعليم والترغيب فيه ومن هذه الأدلة قوله تعالى ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ (التوبة — ١٢٢) فجعل الله سبحانه وتعالى القيام بالنفقة والتعليم والتعلم وطلب العلم مهماً تماماً والدفاع عن الأمة ، ويتناول النحلاوى التعليق على هذه الآية فيذكر « أن التعلم فرض على جميع أبناء الأمة .. فعموم لفظ (قومهم) دليل على وجوب التعلم ، وحرص الحق جل جلاله على تفقيه وإنذار جميع أبناء الأمة بأمور دينهم هو سبب منع النفير العام الذى يخشى معه استشهاد علماء الأمة وفوات التعليم على باقى أبناء الأمة ولهذا رتب لكل فرقة طائفة من طلبة العلم يخصصون للجهد

(١) محمد فؤاد حجازى ، التغيير الاجتماعى . مكتبة وهبة . القاهرة . ١٩٧٨ . ص ١٩ .

بالتعلم والتعليم في مقابل إخوانهم الذين نفروا للغزو والجهاد فالتعلم والتعليم فرض لا يقل أهمية عن الجهاد والدفاع عن الأمة»^(١).

ويذكر محمد إبراهيم نصر في تعليقه على الآية نفسها التعبير بـ «لولا» هنا له دلالة هامة فهي ليست لمجرد الشرط ولكنها تفيد الحث والحض ففي ذلك دعوة مؤكدة على أن تعنى الأمة بتفقيه بعض أبنائها في الدين حتى تكون على بينة بجزئياته وتفصيلاته ومبادئه.. والتعبير بـ «نفر» يفيد السعى لتحصيل هذه المعرفة والدأب الجاد للوصول إليها والتعبير (ليتفقهوا.. ولينذروا) يوضحان الغاية من هذه المعرفة والهدف منها، إذ لافائدة للعلم والفقهاء إذا اختزن في القلب ولم ينشر على الناس، بحيث يأخذ طريقه إلى نفوسهم وقلوبهم^(٢).

وهناك كثير من الآيات الأخرى والأحاديث النبوية الشريفة التي تحض على طلب العلم والتعليم والتعلم وسنكتفى بحديث رسول الله ﷺ حيث قال «من سلك طريقاً يتبع فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة»، وأن الملائكة تضع أجنتها لطالب العلم رضى بما صنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات والأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء، وأن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر» (رواه أبو داود والترمذي).

لقد اعتبر الإسلام التعلم وطلب العلم من العبادات وأشاد بمنزلة العلماء وطلاب العلم وحث على طلب العلم ومنح الإنسان القدرات والاستعدادات والوسائل التي تمكنه من تحقيق ذلك.

(١) عبد الرحمن النحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة. مرجع سابق. ص ٥٩.

(٢) محمد إبراهيم نصر، الإعلام وأثره في نشر القيم الإسلامية وحمايتها، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض ١٣٩٨ / ١٩٧٨. ص ١٢.

٢ — الوقوف من التراث موقف الناقد والتفكير والنظر وعدم التقليد :

إن القرآن الكريم قد ألح في كثير من آياته على الناس أن ينظروا إلى سنن الذين خلوا من قبلهم وذلك للاستفادة من تجاربهم وتمحيصها وعدم الالتزام بكل ما فيها والاستفادة من تجاربهم لأن كل من يريد أن يبنى مجتمعاً أياً كان هذا المجتمع إذا لم يستفد بخبرات الآخرين ويعرف عوامل البناء والهدم فلن يتمكن من إقامة المجتمع أو تغيير الواقع ، والسنن الكونية تماماً كالسنن العضوية تنطبق على المسلم وغير المسلم .

وفي القرآن دعوة صريحة إلى تمحيص التراث وعدم التشبث بكل ما يخلفه الآباء قال تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة — ١٧٠)

وهذه دعوة إلى عدم التقليد ودعوة إلى التفكير والنظر وتمحيص الأمور ودراسة الماضي قبل قبوله وعدم تلقيه دون تفكير ورويه لأن هذه أحد العوامل التي تقود إلى الخطأ ، والتراث منه النافع والمفيد ومنه ماهر غير ذلك ودراسته تساعد في الحكم عليه وتساعد على فهم الحاضر والعمل على تحديد هوية المستقبل .

إن تراث الآباء له أهمية بالغة إذا استفاد الإنسان منه لتفادي أخطاء معينة والاستفادة من العلم الذي حصلوه ولكن المشكلة تكمن في تقديس التراث كله فيكون ذلك سبباً في إعاقه الحركة وبهذا ينبغي أن يُخضع للعقل والدراسة لأن الآباء والأبناء يجرى عليهم مايجرى على كل البشر في وقوعهم في الخطأ واهتدائهم للصواب .

إن الإنسان أى إنسان ليس سنه ولكنه يخضع للسنن ويسعى لكشف تطبيقاتها ومهما كان هذا الإنسان عظيماً فلا يصل الأمر إلى تقديسه إنه لن يتجاوز حد

الرجال وكل بنى آدم خطاء .

وعلى هذا يجب أن نخضع التراث والتاريخ للمنهج والعقل ونستفيد منه الفائدة المرجوة ونتجنب الأخطاء لأن التراث يحتوى على هذا وذاك .

٣ - الانفتاح على خبرات الجماعات الإنسانية المختلفة :

يدعو الدين الإسلامى ويوجه التربية الإسلامية إلى البحث والدراسة للأفكار والخبرات التى تصل إليها الجماعات الإنسانية المختلفة وأن تخضع هذه وتلك للدراسة وللمنهج الإسلامى .

ويبدو هذا الانفتاح واضحاً فى قوله تعالى ﴿ تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ ، (يوسف - ٧٦) ويقول ﷺ « الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها » رواه الترمذى .

وعلى هذا يجب أن ننظر وننشد الحقائق والنظريات والأفكار المختلفة سواء كانت من نتاج مسلمين أم غير ذلك طالما أنها لا تصطدم مع الدين الإسلامى فلا يعقل أن ترد حقيقة علمية لعدم إيمان أصحابها ولا يعقل أن نقف عن الحركة ولا نستفيد من تجارب الآخرين وما توصلوا إليه ولا ننسى أن القرآن الكريم قد أمرنا بآلا نبخس الناس أشياءهم واللفظ جاء على العموم « الناس » ولم يخص جماعة بعينها ، (والانفتاح على خبرات الجماعات المختلفة يرتبط مع عقيدة الإسلام نفسها ، فمراجعة هذه الخبرات يساعد على أمرين : الأول التعرف على مكامن الخير وأصوله فى كل جماعة لتنميتها والاستفادة منها فى الحوار الدائر مع الإنسانية والثانى التعرف على عوامل الانحراف والمرض فى كل جماعة لتشخيصه وتحديد وسائل علاجه) (١)

ويتصل بذلك ما يطلق عليه الأصالة والمعاصرة وكيفية التوفيق بينهما ، فأى فكر إذا أراد الإنسان أن يتعرف على صحته عرضه على كتاب الله وسنة رسوله

(١) ماجد عرسان الكيلانى ، مرجع سابق . ص ٦٨ .

ﷺ فإذا لم يعارض الفكر ماجاء بهما أو إذا لم يخرج عما جاء فيهما كان فكراً أصيلاً وتكون الأصالة بالنسبة لنا كمسلمين هي موافقة الفكر لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ واضعين في الاعتبار الآثار والنتائج التي يمكن أن تتمخض عن هذا الفكر وسلامة الاتجاه وتناسقه مع معطيات الكتاب والسنة .

ومن هذه الأصالة ينطلق الإنسان ليعيش عصره عارفاً بشعونه آخذاً بمقتضيات هذا العصر إن المعاصرة هي وجود المسلم بأصالة الإسلامية في وسط هذا العالم يتفاعل معه والمعاصرة لا تكون بغير أصالة والأصالة من مقتضياتها المعاصرة ولا تنسجم التبعية مع الأصالة إن التربية الإسلامية والفكر التربوي الإسلامي لا يوجدان في الميدان وحدهما بل يوجد في كل عصر من العصور فكر آخر فهل نفضل هذا الفكر بما يتوصل إليه من حقائق ومكتشفات بالقطع إن علينا أن نستفيد من هذا الفكر ولا يمكن أن يكون ذلك إلا بالانفتاح على خبرات الجماعات الإنسانية المختلفة تحت مظلة الدين الإسلامي الحنيف .

٤ — استمرارية التعلم أو التعليم مدى الحياة : العلم لا تحده حدود ومهما تخيل الفرد أنه قد وصل إلى مكانة في العلم فهناك من هم أعلم منه فهناك دعوة دائمة إلى الاستمرار في طلب العلم ﴿ نرفعُ درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم ﴾ ، (يوسف — ٧٦) ﴿ وقل رب زدني علماً ﴾ ، طه — ١١٤ . والاستزادة تستلزم الاستمرار في طلب العلم مدى الحياة . ومهما اعتقد إنسان أنه قد قطع شوطاً كبيراً في العلم فأمامه الكثير والكثير قال تعالى ﴿ ويسألوك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ ، الإسراء ٨٥ وفي هذا إيجاء بالتوسع والاستمرار في طلب العلم مدى الحياة .

ومما يزيد الإنسان رغبة في طلب العلم مدى الحياة قول الحق تبارك وتعالى ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعلمون خبير ﴾ (المجادلة — ١١)

٥ — إلزامية التعليم : التعليم عملية مستمرة وهذا العلم حق لكل إنسان وهذا

الحق يستوجب من العلماء ومن المسؤولين جهدا لتوصيله إلى أصحابه ولقد اعتبر القرآن الكريم حرمان الناس من التعليم ذنباً يقتضيه القائمون على شئون العلم والتعليم وقد قال تعالى ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ (آل عمران — ١٠٤) وهذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير يعتبر تعليماً وتربية . ولقد نبى الله سبحانه وتعالى عن كتمان العلم فقال تعالى ﴿ إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾ (البقرة — ١٥٩) وقد قال ﷺ « من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار » (رواه أبو داود والترمذى) وليس أدل على إلزامية التعليم من أن أول سورة في القرآن كانت سورة العلق ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ ، العلق ١ — ٥ ثم جاءت السورة التى تلتها وهى سورة القلم ﴿ ن والقلم وما يسطرون ﴾ (القلم — ١) فكانت البداية بالقراءة ثم تلتها سورة القلم وكأنه ارتباط بين القراءة والكتابة لأن الكتابة لا بد أن تكون بالقلم فسبحان من علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم .

٦ — تناسق العلم والإيمان اقتران العلم بالإيمان فى الإسلام واضح فهما يتكاملان فى استجلاء الحقيقة وتحرص التربية الإسلامية على هذا التناسق وهذا واضح فى ميادين التربية الإسلامية التى تناولتها الدراسة فقد بدأ المنهج بترسيخ الإيمان ، وقد قال تعالى ﴿ هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون مآثباته منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾ ، (آل عمران — ٧)

ولذلك كان العلم سبيلاً للتقوى ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور ﴾ (فاطر — ٢٨) وهو وسيلة للتعرف على حقيقة الدين ﴿ ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدى إلى صراط العزيز الحميد ﴾

(سبأ — ٦) فالعلم والإيمان من أولى مبادئ التربية الإسلامية والتناسق بينهما يعد أساسياً فيجب أن يكون العلم مقروناً بالإيمان وأن يكون غرض المتعلم في أى معرفة ينشدها هو تقوى الله وأن يخلص النية .

٧ — عدم اتباع الظن والأخذ به فالوقوف عند مجرد الظن والتخمين لا يوصل إلى علم ولا يغنى من الحق شيئاً ، قال تعالى ﴿ إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾ (النجم ٢٣) وقال ﴿ وما يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يغنى من الحق شيئاً إن الله عليم بما يفعلون ﴾ (يونس — ٣٦) .

٨ — تحديد ميدان العقل بما يقع تحت الحس في الدين الإسلامى هناك غيبات وهذه لا تدخل تحت دائرة الحس ، وهناك يدخل تحت مجال الحس ويحدد ميدان العقل مع ما يدخل تحت مجال الحس ويستخدم التجربة والبحث والتحليل ولقد ترك للإنسان مطلق الحرية في أن يستخدم عقله في هذا الميدان ، ميدان البحث والتجربة وجعل ما يتوصل إليه الإنسان من حقائق تدعياً للمبادئ والمعتقدات التى لا تقع ضمن مجال الحس . يقول ﷺ « أنتم أعلم بأمور دينكم » (رواه مسلم) ويقول الله تعالى ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد ﴾ (فصلت ٥٣) فميدان العقل هو المحسوسات التى تعتبر أساسية لتكامل العلم والإيمان ولكن على العقل أن يتفكر ويعى ويتدبر ويعلم كل الأمور التى تخصه في الدنيا والدين .

٩ — التطور والتغير من سنن الحياة :

يقرر القرآن الكريم أن التطور والتغير سنة من سنن الله ﴿ يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن . فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ ، (الرحمن — ٢٩ — ٣٠)

وعلى التربية الإسلامية أن تعى هذه الحقيقة حتى يستطيع الإنسان أن يتكيف مع الجديد ولا يكون عرضه للقلق والحيرة والاضطراب .

وإذا كان التغير سنة والتطور حقيقة فيجب أن يكون هذا التطور والتغير خاضعين للإسلام ولا ينبغي أن نقول إن كل مافي العصر من مستحدثات حسن ونطلب من الإسلام الموافقة عليه فالإسلام حاكم وليس محكوما عليه وهناك جوانب في الإسلام ثابتة لا تتغير وهي جوانب قد حسم فيها الأمر مثل العقائد والعبادات والأخلاق ، وجوانب أخرى في حياة الإنسان تخضع للتغير ولما كان شأنها كذلك فإن الإسلام لم يحسم الأمر فيها وفتح فيها باب الاجتهاد ووضع لها قواعد وأساساً كلية ومن هنا يكون الأخذ بأسباب التقدم .

والرسول ﷺ لم يمنع استحداث ما يوافق التطور وإنما اشترط أن يكون المستحدث الجديد موافقاً للأصول الإسلامية حتى لا يصطدم بسنن الخليفة فقال (من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتبت له قبل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتبت عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء) (رواه مسلم) . والإسلام موقفه من التطور والتغير واضح ومحدد يبنى على أساس من طبائع الأشياء وقانون الفطره فالتطور في الحياة لا يمس حقائق الأمور بل يمس أطرها الخارجية .

ويمثل دور التربية الإسلامية في التغير الاجتماعي فيما يسهم به الدين الإسلامي في وضع المنهج لأجنحة التغير وهي الإنسان والنظم المختلفة التي تنظم شعونه وقد تناولت الدراسة ما يخص بتغير ما بالأنفس ولاشك أن هذا هو الأساس كما أو ضحت الدراسة استناداً إلى ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة ، إلا أن للإسلام نظريته كذلك فيما يختص بالنظم المختلفة في المجتمع وتلك النظرة تساعد على استكمال أجنحة التغير .

إن الإسلام كل لا يتجزأ ونظمه مكمله بعضها بعضاً ، وخاصيته الأساسية أنه ينسق بين النظم الاجتماعية حيث لا تصارع بين نظام وبين آخر ؛ لأنها مستمدة من مصدر واحد يتمثل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ؛ ولذلك ستناول الدراسة باختصار نظرة الإسلام إلى تلك النظم ودور التربية الإسلامية في كل منها .

★ ★ ★ ★ ★

التربية الإسلامية والتكافل الاجتماعي

لقد حرصت التربية الإسلامية على أدق العلاقات بين الأفراد تأكيداً للإخاء بينهم وركزت تركيزاً شديداً على قيم التكافل الاجتماعي وكرهت في الأمور التي تضعف الأخوة بين الأفراد وتضعف علاقاتهم . ولقد وصف القرآن الكريم المجتمع المسلم بأنهم إخوة

وحرصاً على أن تكون العلاقات بين الأفراد طيبة لا يعكر صفوها أى فعل خاطيء نجد أن الإسلام يتناول التجسس والتناز والتحاسد والتباغض والتعامل بالربا وكل الأمور التي قد تؤثر على إضعاف العلاقات بين أفراد المجتمع

ويدعو إلى الإخاء والمساواة والبذل والعطاء والصدق في القول والعمل مما يؤدي إلى أن يشعر الأفراد كأنهم جسد واحد وتساعد أيضاً إلى التكامل بين الأفراد هذا التكامل الذى يبدأ من الفرد ذاته وما تقوم به التربية من تزكية لهذا الفرد

وتحرص التربية الإسلامية على التكامل بين الفرد وأسرته وعلى العلاقات الأسرية وأهميتها ثم تسعى إلى التكامل الفرد والمجتمع الذى يعيش فيه ، قال تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تئسركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً ﴾ ، (النساء — ٣٦)

بهذا الشمول يجب أن تكون علاقة الإنسان بالآخرين علاقة بالإحسان وليس الإحسان بالمال فقط ولكنه في المعاملة والمعاشرة والإنفاق مما يساعد على تماسك المجتمع وحسن علاقاته إلى جانب ما أمر به الإسلام من رد التحية وأدب الاجتماع والعفو والبشاشة وإلى العلاقات الطيبة بين الأفراد والإيثار وصلة الرحم .

ثم إن التكافل الاجتماعي ينبسق من المبادئ التي تدعو إليها التربية الإسلامية ومن بينها الحرية الفردية والحرية التي تدعو إليها التربية الإسلامية وتغرسها في نفوس الأفراد ليست الحرية بمعناها الضيق بأن يكون الفرد غير ملتزم بأى قيد من

القيود ليفعل ما يحلو له ، وهذه الحرية ليست الحرية التى يريد بها الإسلام وليست هى الحرية التى تهدف التربية الإسلامية إلى غرسها فى نفوس الأفراد هذا النوع من الحرية المطلقة لا يليق بكرامة الإنسان . إن الحرية التى ننشدها هى تلك التى لا تخرج عن النظام العام الذى يعيش فيه المجتمع والذى ينبثق من عقيدته والحرية فى الإسلام تجعل الفرد لاتحده إلا الحدود التى حددتها التربية الإسلامية ، فلقد جاء الإسلام لتحرير الإنسان فكانت المساواة فى الحقوق وكانت حرية الفكر والاعتقاد مكفولة . قال تعالى ﴿ لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ﴾ ، البقرة ٢٥٦

فالتربية الإسلامية تعمل على تحرر الإنسان من ظلم الإنسان لأن الله تعالى قد كرم الجميع بالانتماء إليه والعبودية له وحده فالكل سواسية وتعمل أيضاً على تحرير عقل الإنسان من الخرافات فلا يقبل شيئاً بدون برهان وأن يعمل عقله فى كل شئ بالأسلوب السليم. كما تعمل على تحرر الإنسان من اللهو والعبث واللامبالاه لأنه لم يخلق لذلك ﴿ أفحسبتم أننا خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون . فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم ﴾ ، « المؤمنون ١١٥ — ١١٦ »

ويتعلق دور التربية فيما يتعلق بالحرية الفردية من أن « الطفل مخلوق نام باستمرار ... وهذا النمو لا يتم إلا عن طريق الحركة والنشاط .. الحركة والنشاط ينبعثان من داخل هذا المخلوق ومن أجل هذا لا نمو بدون حرية فالطفل يعشق الحرية فى جوها ... وبالحرية ومامعها من نشاط وحيوية وحركة يُحصل الطفل الخبرات اللازمة لنموه الجسمى والعقلى والخلقى والاجتماعى والفنى والعلمى .. ومع ذلك فليست الحرية مطلقة ، لأن هذه الحرية هى الفوضى بعينها وهى التى تقضى على الحرية نفسها فى نهاية الأمر . لانبخل بالحرية على الطفل ولا نسرف فى حرية غير موزونة ^(١) »

(١) عبد الرحمن البانى . مرجع سابق . ص ٥٠ — ٥١ .

ومن هنا نجد أن التربية الإسلامية تعمل على ترسيخ القيم الخلقية وقيم التكافل الاجتماعي انطلاقاً من مبدأ الحرية والكرامة الإنسانية تحت مظلة الدين الحنيف ، « إن النظام الاجتماعي في الإسلام » يقوم على العدل والمساواة بين الأفراد بدون تفرقه على أساس من الجنس أو اللون أو الدين أو المركز الاجتماعي والاقتصادي ويكون التأكيد على الجانب الأخلاقي وتوفير عنصر التقوى وعدم خضوع الإنسان لأي كائن آخر إنساناً أو آلة أو طبيعة^(١) فإذا ما تحقق كل ذلك فإن أسباب التغيير متوفرة فينطلق الإنسان ليغير ويطور ما مجتمعه في إطار من الأخوة والمساواة والتكافل الاجتماعي .

إن الإنسان هو أساس التغيير ولكي يحدث التغيير لا بد أن تتحقق كرامة الإنسان وتحقيق آدميته وهذا أحد المبادئ التي تقوم عليها التربية الإسلامية .
وفي الإسلام يكون تحقيق ذلك من خلال ميدانين :
١ — إطلاق حريته :

إن الله سبحانه وتعالى قد جعل الإنسان مكلفاً ومسؤولاً وهذه المسؤولية لا تتحقق إلا من خلال حرية وإلا كيف يكون الإنسان مسؤولاً . حرية في العقيدة وحرية في الرأي وحرية في التملك لإخراج طاقاته الفطرية إلى حيز الوجود ولكن الحرية ليست مطلقة فحرية الاعتقاد لا يجوز أن تتحول إلى أذى للآخرين في عقائدهم وحرية التملك لا تكون مطلقة تلحق الضرر بأموال الآخرين وحرية في إبراز الطاقات الفطرية فيما جعله الله مشروعاً وليس فيما يغضب الله .
٢ — عدم استغلاله من حيث هو إنسان :

إن استغلال الإنسان لآخر يعني قتل آدميته وتعطيل طاقاته ومن هنا يرفض الإسلام ذلك وهو إلحاق الضرر بالإنسان مهما كان .

لقد غرست التربية الإسلامية قيم التكافل الاجتماعي بين الأفراد حتى يمكنهم العمل في جو من الأخوة والمساواة دون أدنى سلبات قد تكون عالقة بالأنفس .

★ ★ ★ ★ ★

(١) عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب ، بحوث في التربية الإسلامية ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٣ . ص ٤٣ .

التربية الإسلامية والنظام الاقتصادي

إن أول الأسس التي يركز عليها النظام الاقتصادي في الإسلام هي إهتمامه بمصلحة الفرد وكذلك مصلحة الجماعة هادفاً من وراء ذلك إلى تحقيق العدالة الاجتماعية بين أفراد المجتمع وذلك عن طريق التربية والتوجيه إلى جانب التشريع فالإسلام أرسى مبدأ الحرية في كل مجال من مجالات الحياة شريطة أن لا تتعارض الحرية مع المبادئ الأساسية التي جاء بها الإسلام ولقد كفل الإسلام مبدأ الحرية الاقتصادية وفرض أسلوب تعامل يقوم على هذا الأساس هذا السلوك الذي يكون ملزماً لكل الأفراد والذي يمكن أن نحققه بالتربية الإسلامية التي من أهدافها تحقيق العدالة بين الناس . ويقوم النظام الاقتصادي في الإسلام بتوجيه النشاط الاقتصادي وتنظيمه على أساسين :

(أ) شق ثابت : وهو خاص بالمبادئ وهي عبارة عن مجموعة الأصول الاقتصادية التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية ليلتزم بها المسلمون في كل زمان ومكان ، المال مال الله والبشر مستخلفون فيه ، أصل ضمان حد الكفاية لكل فرد ، أصل تحقيق العدالة الاجتماعية ، أصل احترام الملكية الخاصة ، أصل حرية الاقتصاد المقيدة .

(ب) جانب متغير : هو الجانب الخاص بالتطبيق .^(١)

ولقد نظم الإسلام الملكية الفردية في الإسلام وأوجب الزكاة حتى لا يكون المال دولة بين الأغنياء وليبين أن للفقراء حق في مال الأغنياء ، وفي اعتراف الإسلام بالملكية الفردية وضع في الاعتبار المصلحة باعتبار أن هناك غريزة ذاتية تدفع الإنسان إلى العمل بجهد والاستثمار والتنافس الطبيعي الذي لا يمكن أن يحدث إلا إذا شعر الإنسان بتملكه لهذا المال مما يساعد على زيادة الدخل والانتاج ومع ذلك وضع القيود على الأفراد حتى لا يتبعوا أهواءهم ومن هذه القيود .

— حدد الإسلام الطرق التي يكتسب بها الأفراد أموالهم دون استغلال .

(١) محمد شوقي الفنجري ، الوجيز في الاقتصاد الإسلامي . دار ثقيف للنشر والتأليف ، الرياض . ١٩٨١ .

- حدد لهم الطرق التى يستثمرون منها أموالهم .
- تنظيم العمل وعلاقة القوى المنتجة فيما بينها .
- علاقة قوى الإنتاج بأدوات الإنتاج .

إن نظرة الإسلام للإنسان الذى هو عماد الاقتصاد والحياة الاجتماعية نظرة تنسق مع الطبيعة البشرية فهو يعترف بميوله ونزعاته الفطرية ولكنه يهذبها ويضع لها الحدود التى تتفق مع مصالح المجتمع ومصالح الفرد نفسه ؛ ولهذا نجد أن دور التربية الإسلامية كبير فيما يتعلق بهذا المضمار فهى دعوة إلى التعفف حتى فى المال الذى يجمعه الفرد بطريقة مشروعة .

لقد حرص الدين الإسلامى على أن تكون الرقابة ذاتية نابعة من الفرد نفسه وهذا لا يكون إلا بالتربية إلى جانب الرقابة الخارجية المنبثقة من الشريعة وذلك لضمان سلامة السلوك الاجتماعى والزكاة فى الإسلام تمثل جانباً اقتصادياً واجتماعياً هاماً إلى جانب الجانب التعبدى حيث يخرجها الإنسان عن طوعية واختيار إلى جانب أنها تقوى العلاقة بين الأفراد . وتمثل الزكاة فى الإسلام أداة تطهير للنفس البشرية من شحها : قال تعالى ﴿ تَحَذِّ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صِلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (التوبة — ١٠٣)

والإسلام يقر التفاوت بين الناس فى الغنى ، هذا الغنى المشروع إلا أنه فرض الزكاة بنسب متفاوتة لما لها من أثر اجتماعى ﴿ وَاللَّهُ فَضْلُ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعَنَمَةٍ أَفْبَاحُونَ ﴾ ، (النحل — ٧١)

﴿ أَهْمُ يَقْسُمُونَ رَحْمَةً رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سَخِرِيّاً وَرَحْمَةً رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (الزخرف — ٣٢)

ثم نجد أن الإسلام قد حرم كنز الأموال حتى يستفيد منها الأفراد والمجتمع ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيراً مِنْ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا أَمْوَالَ

الناس بالباطل وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ فَتَكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنُزُونَ ﴿٣٤﴾ ، (التوبة — ٣٤ — ٣٥)

ثم كان الميراث في الإسلام وسيلة أخرى لمنع تكديس الأموال في أيدي فئة قليلة حيث توزع الأموال بين أكبر عدد ممكن من أفراد الأسرة إلى جانب حرية التصرف في جزء منه بالوصية إن النظام الاقتصادي في الإسلام (يقوم على أن المال مال الله وأن البشر مستخلفون فيه ولذا فلا بد من مراعاة مصادر الكسب ومصادر الإنفاق وإخراج الزكاة وتأدية حقوق الفقراء والتكافل بين أفراد المجتمع واستغلال كل مصادر الثروات في صالح الإسلام والمسلمون)^(١)

إن النظام الاقتصادي في الإسلام يضع في الاعتبار الحركة والتغير الذي هو سنة من سنن الحياة غير أنه لا ينسب الحركة إلى عامل واحد فقط ولا يردّها إلى ماهو مادي بحث ولا إلى ماهو معنوي بحث ولكن يضعها في إطار متكامل وتتأثر بقدر سلوك الإنسان وجهده .

وتوجه التربية الإسلامية الفرد إلى كيفية أن ينتفع الآخرين بفائض ماله ويثاب على ذلك وتحت على إنفاق المال عن طريق الزكاة والصدقة والميراث والإحسان وغيرها وتؤكد في نفس الفرد معنى التعاون والرحمة والتآلف والتعاطف

وهناك مجالات أخرى كثيرة تتمثل في المحافظة على المال وضوابط للتحكم في التعامل بين الأفراد منها محاربة الربا وحماية حقوق الأفراد بكتابة العقود ومنع الاحتكار ومنع أن يبيع الفرد على بيع أخيه وحجب السماح في البيع والشراء والغش في الميزان إلى جانب تنبيهه إلى عدم الإسراف في الاستهلاك وهذه كلها قيم وأنماط سلوكية تستطيع التربية الإسلامية أن تفرسها في الأفراد ليتغير ما بأنفسهم فيتغير مجتمعهم .

★ ★ ★ ★ ★

(١) عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب ؛ مرجع سابق ، ص ٤٣ .

التربية الإسلامية والنظام السياسي

لقد تحدت أطر النظام السياسي في الإسلام في القرآن والسنة وجاءت عامة وتركت التفاصيل لكل زمان ومكان وقام النظام الإسلامي على أساس قانون العدل والمساواة والكرامة الإنسانية ولم يترك هذا النظام لأهواء البشر يتصرفون فيها كيف يشاؤون ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون ﴾ ، (المؤمنون — ٧١)

﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم وأخذهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وأن كثيراً من الناس لفاسقون . أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ ، (المائدة ٤٩ — ٥٠)

فالنظام السياسي في الإسلام (يقوم على الاحتكام لشرعة الله حكومة وشعباً وعلى كرامة الفرد والأخذ بمبادئ العدل والشورى الإسلامية)^(١)

فالحكم الحقيقي لله والبشر خلفاء الله في الأرض ولاسلطان لأحد على غيره من الناس اللهم إلا في طاعة أولى الأمر فيما لا يتعارض مع الإسلام وشرعته فولاية الناس من أعظم واجبات الدين .

ولقد عملت التربية الإسلامية على تحديد وتنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع بما يتفق مع مبادئ الإسلام من مساواة وعدل وبما يتفق مع الكرامة الإنسانية . ويمكن دور التربية الإسلامية في بيان حقوق الأفراد وواجباتهم وأن الدولة الإسلامية دولة مبنية على عقيدة وفكر وأن الجميع سواسية أمام القانون ولا ميزة لأحد على آخر إلا بالتقوى ، ويمكن دور التربية الإسلامية في التركيز على تلك المبادئ والقيم وجعلها واقعاً يمارسه الطلاب في اختلاف مراحلهم التعليمية حتى لا يكون الفكر في واد والسلوك والممارسة في واد آخر مما ييسر للخصوم ترويح

(١) عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب ، مرجع سابق . ص ٤٣ .

أباطيلهم .

لاشك أن إطار الشورى قد جاء عاماً وترك الجزئيات والتطبيق لكل زمان ومكان وإذا كان وجود قيادة توجه سياسة الدولة يعد أمراً حتمياً فإن هذه القيادة لا بد أن تطبق شرع الله وتسير وفق قوانينه قال تعالى ﴿ الذين إن مكنائهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ ، (الحج — ٤١)

فمن أعظم واجبات القيادة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والشورى ﴿ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ﴾ ، (الشورى — ٣٨)

ولقد خاطب الله رسوله الكريم فقال ﴿ فيها رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾ ، (آل عمران — ١٥٩)

وإلى جانب أن الشورى هي أساس النظام السياسي فإن العدالة أيضاً هي أبناب الآخر المهم ولهذا كانت العدالة القانونية دون اعتبار للفروق في الجنس والذون والوضع الاجتماعي .

ويتصل بذلك أيضاً حرية الرأي وإبداء وجهة النظر بما لا يتعارض والنظام الإسلامي العام إلى جانب الإحساس بالمسؤولية أمام الله ووظيفة التربية تنمية هذا الإحساس بالمسؤولية وتدريب الطلاب على إبداء الآراء والمناقشة ولا يخشى أحداً إلا الله .

إن الجوانب المختلفة التي تتناولها التربية الإسلامية سواء ما يختص منها بالفرد أو الجماعة أو ما يختص بالجمتمع أو النظام الاجتماعي والعلاقات المختلفة التي تحكمه والأدوار والمراكز الاجتماعية في مجال السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية تعد كلها أساسية لكي يكتمل أى بناء اجتماعي وهناك علاقة بين البناء الاجتماعي

والتغيير الاجتماعى فالتغير يحدث فى البناء الكلى للمجتمع فى حجمه وتركيبه وتنظيماته ونظمه المختلفة .

ومن الصعب أن تنمو وتتغير النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى مجتمع غير متعلم تسيطر على أبنائه الفوضى العقلية ويعم فيه الجهل وينبذ التخطيط .
إن للتغير أسباب وعلى الفرد ثم المجتمع بنظمه أن يأخذ بتلك الأسباب وإذا لم يحدث ذلك فمن أين يأتى التغير .

نقطة البداية تغيير ما بالأنفس

فى نظرة الإسلام للتغير الاجتماعى تكون البداية تغيير ما بالأنفس وتغيير ما بالأنفس يتطلب تربية ولا يكون إلا بها والتربية لمن ؟ للإنسان والتغير يخضع لقوانين وسنن سواء كنا نتحدث عن تغيير ما بالأنفس أو عن تغيير المجتمع فهناك علاقة سببية بين التغييرين وبدون إدراك هذه العلاقة تكون العملية كمن يحرثون فى البحر .

والتغير عملية اجتماعية متعددة الجوانب ومذهبية هذا التغير فى الإسلام مذهبية متكافلة تقوم على أساس من التخطيط العلمى المنظم لتفجير طاقات الإنسان لتغيير ما بنفسه لكى يتغير المجتمع .

ولقد عدَّ الإسلام الإنسان قيمة حقيقية وركناً أساسياً فى الحياة بما أودع الله فيه من قدرة جسدية وقدرة عقلية وبما أودع الله فيه من قابلية للتكيف . ولقد خلق الله الإنسان فى أحسن تقويم وأحسن صوره وأمدّه بالقدرات والاستعدادات للتعلم والكفاح والمكابدة وتسخير قوانين وسنن الحياة والاستفادة منها فى التغيير وعلى الإنسان أن يتحرك ويغير ويبدل ولا ينتظر المفاجآت لأنه بطل التغيير ولكنه قبل أن يتحرك عليه أن يعي سنن الحياة وقوانينها وعليه أن يغير ما بنفسه بالتربية وعلى التربية أن تعمل على بناء الإنسان الذى يتمتع بالعقلية الاجتماعية القائمة على أساس المنهجية العلمية والإيمان بمبدأ العلمية والحيلولة دون اتباع الظن والوقوع فى براثن النظرة الخرافية فى فهم الأحداث .

إن هناك مشكلات كبيرة قد جعلت هذه الأمة التى من المفروض أن تكون خير أمة أخرجت للناس جعلتها تتخلف فى ميادين كثيرة وأن ظواهر اجتماعية غير صحية وأمراضاً أصبحت متفشية وملموسة ولا يمكن معالجتها إلا فى ميدان التربية والتطبيق العملى .

والمسلمون إذا أرادوا أن يماشوا الأزمان ويسايروا المصالح بشريعتهم لا يجدوا من الشريعة ومصادرها ما يحول بينهم وبين ذلك بل يجدون فيها نوراً يهديهم ومرونة تذلل لهم سيرهم وتقرب غاياتهم .

وإذا كان العلم اليوم يعنى باكتشاف قوانين الحياة والمادة فإن الإسلام قد دعا إلى ذلك بهذا المعنى الخاص لذلك أعطى الله سبحانه وتعالى الإنسان الاستعدادات والطاقات الكاملة للاستفادة من قوانين الحياة المادية والاجتماعية فلم يبق إلا أن يسخرها ويكشف عنها ويخطط الحياة على أساسها .

والعلم الحديث قرأنى فى موضوعه ويفتح آفاق الإنسان ويدعو إلى العلم وبينه العقول إلى ذلك بالتفكير والتدبر والتعقل والتعلم والعلم إلى جانب أن أى إنسان يتحرك فى أى اتجاه للكشف عن قوانين الحياة وأسرارها فى سبيل أى مصلحة اجتماعية يعتبر عابداً لله مطيعاً لأوامره سبحانه وتعالى فى تحقيق هدف من أهداف الخلافة فى الأرض .

إن التغير حقيقة لا يمكن للفرد أن يهرب منها والعصر الذى نعيش فيه يتغير بسرعة كبيرة إلى الدرجة التى لا نجد فيها الوقت للتكيف قبل أن يأخذ مزيداً من التغير مكانه وواجب الإنسان أن يقود هذا التغير وأن يحدثه بماله من قدرات واستعدادات وإذا لم يكن للإنسان قدرة على التغير على الأقل ما يخصه « ما بنفسه » مأسندا الله إليه فلإنسان قدرة على الارتقاء بنفسه وتزكيتها .

إن للإنسان عقل مدرك وشعور وإحساس وقوى كامنة وطاقات تتناسب مع حجم المسئولية والتكليف الذى جعله الله مكلفاً به ومسؤولاً ، وعليه أن يفكر فى آيات الله بالنظر والتمعن فيها وتدبرها وأن يكشف سنن الله ويسخرها حتى

يستطيع أن يتحرك في إطارها ومن هنا فقد جعل الله الإنسان بطاقاته مداراً لحركة التغيير المستمرة في المجتمع الإنساني وأفهمه أنه بحركته يتحرك تاريخه وتقوم حضارته ويتغير مجتمعه . وطريق دعوة رسول الله ﷺ كان طريق تحريك العقل ودفع الإنسان إلى فهم نفسه وفهم ماحوله وإدراك مافى الوجود من القوانين والأسرار ومحاولة إكتشافها وتسخيرها لصالحه وإقامة مجتمعه العادل عليها .

والإنسان في تغيير المجتمع أو في إندفاعه وحركته نحو هذا التغيير لابد أن ينطلق من أن تغير هذا المجتمع يخضع لقوانين وسنن ولا بد أن يعى تلك القوانين والسنن ويعرف أنه مالم يتمكن من معرفة مابالأنفس لتغييره فإن جهوده ستكون مبعثرة .

إن التغيير يخضع لقوانين وسنن وقد تناولت تلك الدراسة تلك القوانين وبيتها ثم انطلقت بعد ذلك إلى تحقيق الشق الأول من التغيير وهو تغيير مابالأنفس بالتربية الإسلامية والتربية الإسلامية بالذات لما لها من سمات خارقة بيتها الدراسة ، إلى جانب أن هناك أساساً عامة توجه التربية في الإسلام ومن هذه السمات وتلك الأسس يمكن القول بأن التربية الإسلامية قادرة على تغيير مابالأنفس في ضوء مارسه الخالق سبحانه وتعالى لمخلوقه الإنسان المكلف المستول بحمل الأمانة . وقد بينت الدراسة الميادين التي يمكن أن يتغير منها مابالأنفس وهذه الميادين تعد شاملة جامعة مانعة تغير مابالأنفس في تكامل واتساق وشمول .

ولقد انطلقت الدراسة من الآيتين الكريمتين ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد — ١١) و ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفَى ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الجمعة — ٢) ومن الآيتين خرجت الدراسة بإمكانية تغيير مابالأنفس ليتحقق وعد الله بتغيير « مابالقوم » وتناولت الدراسة كذلك كيف يمكن تغيير الطبيعة الإنسانية ونظرة الإسلام إليها وإمكانية تهذيبها وتغييرها إنطلاقاً من أن هناك علاقة بين مابنفس الإنسان وسلوكه ومن الممكن تغيير هذا السلوك بترسيخ القيم والأفكار والمفاهيم الإسلامية .

وتناولت الدراسة كذلك ما تملكه الشريعة من أساليب للضبط الاجتماعي من حدود وعبادات وعلاقة ذلك بالتغير الاجتماعي إلى جانب أن هناك نظماً مختلفة في الإسلام ولقد بينت الدراسة كيف أن التربية الإسلامية بما تملكه من سمات وأسس تستطيع أن تجعل الفرد يعي هذه النظم لأن فيها مصلحة ولأنها منسجمة مع فطرته التي فطر الله الناس عليها ثم أن لها دوراً في إعداد الفرد لتلك النظم التي تشترك معها في وحدة المصدر وهو المشرع سبحانه وتعالى فالتربية الإسلامية المنبثقة من الدين الإسلامي تملك من الوسائل ما يمكنها من صياغة الإنسان .

نعم ، هناك مشكلة من الممكن أن نطلق عليها مشكلة التغير ولكن المشكلة تكمن في الإنسان وفي ما بنفسه ، والمنهج واضح وشامل ومحدد واندفاع الإنسان للحركة المجدية مرهون باقتناعه بأن لكل مشكلة حل ولكل مشكلة أسلوب وطريقة لحلها وإنما تخضع لقوانين ولهذا ما لم يستطيع الإنسان أن يتمكن من معرفة تغيير ما بالأنفس ، وما لم يسيطر على خارطة تغيير ما بالأنفس وما لم يتمكن بوضوح من معرفة سنن التغير وقوانينه وما ينبغي أن يغيره وما لا ينبغي أن يغيره وما ينبغي أن يضيفه سيظل المجتمع يسير في طريقه بعفوية وتخبط ويحافظ على مقومات إعاقه أي تقدمه وتغير .

ولقد ألح الإسلام في القرآن على النظر في سنن وقوانين التغير وبين لنا عوامل الهدم والبناء حتى نتمكن من إقامة المجتمع وفتح لنا باب الاجتهاد وبين لنا شروطه ووضع لنا الخطوط العريضة للنظم بدون تفريط في شيء فسبحان القائل ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ (الأنعام ٣٨)

وبين لنا أن لكل شيء سبباً وأنه خلق لحكمة ودعانا إلى التأمل في السنن ﴿ سنربهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ﴾ ، (فصلت — ٥٣)

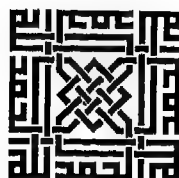
إن مشكلة المسلمين معقدة وليست بسيطة ولكن مع ذلك فإن إدراكها إدراكاً

صحيحاً لا يجعل الأمر مستعصياً لأن المشكلة تكمن في معرفة الإنسان لسنن الله في الخلق والتعامل معها ومن الممكن للإنسان أن يفعل ذلك فتغيير المجتمعات ليس خاضعاً للصدفة وإنما يخضع لقوانين والمشكلة مشكلة العقل وما يعترضه من الجمود والركود وما يصحب ذلك من جمود في التنظيم والتخطيط .

وترك المجتمع دون تعبيره ورفع مستواه هو هروب من المشكلة ويميل البعض إلى النظر إلى السماء في انتظار الفرج فماذا فعل البشر حتى يتحقق وعد الله ؟ إن من الممكن غرس القيم والأفكار وتغيير ما بالأنفس لأن هذا علم له أصوله وله أساليبه وله منهجه وإلا لماذا تتلاعب بعض المجتمعات بالمجتمعات الأخرى فتوجهها إلى حيث تريد الأولى ، لأنهم عرفوا علم تغيير ما بالأنفس ونسمع كثيراً عن ما يسمى بالغزو الفكري إنه وسيلة لتغيير ما بالأنفس وهذا قائم على علم وعلى دراسة لتحقيق أهداف معينة .

إن منهج الله واضح وقيمه وموازينه وسننه ثابتة ونحن جميعاً بشر نخضع للسنن فماذا نحن فاعلون . ﴿ أفمن يمشى مكباً على وجهه أهدى أمن يمشى سوياً على صراط مستقيم ﴾ ، (الملك — ٢٢)

والحمد لله رب العالمين



المراجع

- القرآن الكريم .
- الحديث الشريف .
- أحمد شلبى . مقارنة الأديان الثلاثة . النهضة المصرية ، القاهرة . ١٩٦٥ .
- أحمد شلبى . تاريخ التربية الإسلامية . النهضة المصرية ، القاهرة . ١٩٧٤ .
- أحمد عبد الرحمن الشريف ، « مفهوم التربية الإسلامية » ، محاضرات الثقافة الإسلامية . كلية الشريعة ، قسم الثقافة الإسلامية . مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض . ١٤٠٣ هـ .
- أحمد فؤاد الأهوانى ، التربية فى الإسلام . دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة . ١٩٥٥ .
- الكس كارل ، الإنسان ذلك المجهول . ترجمة شفيق أسعد فريد ، مكتبة المعارف ، بيروت . ١٩٨٠ .
- حامد عبد السلام زهران ، علم النفس الاجتماعى . عالم الكتب ، القاهرة . ١٩٧٢ .
- جودت سعيد ، حتى يغيروا ما بأنفسهم . دمشق . ١٩٧٢ .
- سعيد اسماعيل على ، دراسات فى التربية الإسلامية ، عالم الكتب ، القاهرة . ١٩٨٢ .
- سيد أحمد عثمان ، علم النفس الاجتماعى التربوى . مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠ .
- صمويل باسيلوس ، علم الاجتماع التربوى . جامعة القاهرة ، فرع الخرطوم ، الخرطوم . ١٩٦٩ .
- عبد الرحمن البانى ، مدخل إلى التربية فى ضوء الإسلام . المكتب الإسلامى بيروت . ١٤٠٠ هـ .
- عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب ، بحوث فى التربية الإسلامية . دار الفكر العربى . ١٩٨٣ .
- عبد الرحمن النحلاوى ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها . دار الفكر ،

- دمشق . ١٩٧٩ .
- عبد الرحمن النحلاوى ، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة . مكتبة أسامة ، الرياض ، ١٤٠٢—١٩٨٢ .
- عبد الرحمن عميره ، « التربية الإسلامية وأثرها فى المجتمع » . فى الاجتهاد فى الشريعة الإسلامية وبحوث أخرى ، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض . ١٤٠٤ هـ .
- عبد السميع إمام ، أثر تطبيق الحدود فى المجتمع ، القسم الرابع ، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ٤٠٤ — ١٩٨٤ .
- عبد الفتاح جلال ، من الأصول التربوية فى الإسلام . المركز الدولى للتعليم الوظيفى للكبار سرس الليان ، منوفية ، جمهورية مصر العربية . ١٩٧٧ .
- عبد الفتاح عاشور ، منهج القرآن فى تربية المجتمع . مطبعة الخانجى ، القاهرة . ١٩٧٩ .
- عبد اللطيف فؤاد إبراهيم ، المناهج ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
- عبد الله بن عبد المحسن التركى ، توجيهات الإسلام فى نطاق الأسرة . إدارة الثقافة والنشر ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض . ١٤٠٤—١٩٨٤ م .
- عبد الهادى الجوهري ، القيم الإسلامية والتنمية . مجلة كلية العلوم الاجتماعية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد الخامس ، ١٤٠١ — ١٩٨١ م .
- على القاضى ، أضواء على التربية فى الإسلام . دار الأنصار القاهرة . ١٩٧٩—١٤٠٠ هـ .
- ماجد عرسان الكيلانى ، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية . رسالة ماجستير منشورة جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان . ١٩٧٨ .
- محسن عبد الحميد ، منهج التغيير الاجتماعى فى الإسلام . مؤسسة الرسالة ، بيروت . ١٩٨٣ .
- محمد الهادى عفيفى ، التربية والتغير الثقافى . مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة . ١٩٧٥ .

- محمد إبراهيم نصر ، الإعلام وأثره في نشر القيم الإسلامية وحمايتها . دار اللواء ، الرياض ، ١٣٩٨ هـ .
- محمد خاطر ، أثر تطبيق الحدود في المجتمع ، القسم الثالث ، إدارة الثقافة والنشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض . ١٤٠٤ / ١٩٨٤ .
- محمد رأفت سعيد ، « الأصالة والمعاصرة في الفكر الإسلامي » . محاضرات الثقافة الإسلامية ، كلية الشريعة ، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض . ١٤٠٣ .
- محمد رأفت سعيد ، الرسول المعلم ومنهجه في التعليم . دار الهدى للنشر والتوزيع ، الرياض . ١٤٠٢ / ١٩٨٢ .
- محمد سيف الدين فهمي ، التخطيط التعليمي . مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة . ١٩٦٥ .
- محمد شوقي الفنجرى ، الوجيز في الاقتصاد الإسلامي . دار ثقيف للنشر والتأليف ، الرياض . ١٩٨١ .
- محمد فؤاد حجازي ، التغير الاجتماعي . مكتبة وهبة ، القاهرة . ١٩٧٨ .
- محمد قطب ، منهج التربية الإسلامية . دار القلم . القاهرة . د . ت .
- محمد نبيل غنایم ، « شبهات حول التشريع الإسلامي » محاضرات الثقافة الإسلامية ، كلية الشريعة ، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض . ١٤٠٣ هـ .
- محمد لبيب النجيحي ، مقدمة في فلسفة التربية ، مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة . ١٩٦٣ .
- مصطفى الخشاب ، علم الاجتماع ومدارسه ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة . ١٩٦٥ .
- مصطفى الزرقا ، وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية ، إدارة الثقافة والنشر ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض . ١٤٠٤ / ١٩٨٤ م .
- يوسف مصطفى القاضي ومقداد يالجن ، علم النفس التربوي في الإسلام . دار المريخ ، الرياض . ١٤٠١ - ١٩٨١ م .

- Bennis , Warren . **Chnning Organizations** , Mcgrw Hill Co . , New york , 1966 .
- Levey , Reuben **The Social Stucture OF Islam** , Cambtidge University Prees . 1969 .
- Lippitt , G . L . , **Visualizing Change** University Associates Inc . , ' a Jolla , CA . , 1973 .
- Ogburn , W . F . , . **Social Change** , Longman Co . , N . y . , 1976 .
- Rogers , Everett . **Communication Strategies For Family Planning** , The Free Press , New york , 1973 .
- Rothman , Jack . , **Planning & Orgnizing For Social Change** . Columbia University Press , New york , 1974 .
- Zaltman , Gerald . and Robert Quncan , **Stratgies For Planned Change** , John Wiley and Sons , New york , 1977 .



المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
* مفهوم التغير الاجتماعى	٨
* عوامل التغير الاجتماعى	١٥
* الإسلام والتغير الاجتماعى	٢١
* مفهوم التربية الإسلامية	٣٢
أ — التربية والتعليم	٣٤
ب — هدف التربية الإسلامية	٣٨
* التربية الإسلامية وتغير النفس الإنسانية	٤٨
أ — ميادين التربية الإسلامية وتغير النفس الإنسانية	٤٨
أولاً : ميدان العقيدة الإسلامية	٥٠
ثانياً : ميدان التركية	٥١
ثالثاً : ميدان الإعداد الفكرى وتقديم المعارف	٥٧
رابعاً : ميدان الإعداد الوظيفى	٥٧
ب — تحقيق أهداف التربية الإسلامية	٦١
المؤسسات * الأسرة	٦١
* المسجد	٦٥
* المدرسة	٦٧
ج — التربية الإسلامية وتغير الطبيعة الإنسانية	٧٢
د — التربية الإسلامية وترسيخ القيم والأفكار والمفاهيم	٧٩
* التربية الإسلامية والضبط الاجتماعى	٨٦
الحدود والضبط الاجتماعى	٩٠
* التربية الإسلامية والتغير الاجتماعى	٩٥

الصفحة

الموضوع

١٠٤	التربية الإسلامية والتكافل الاجتماعى
١٠٧	التربية الإسلامية والنظام الاقتصادى
١١٠	التربية الإسلامية والنظام السياسى
١١٢	* نقطة البداية تغيير ما بالأنفس
١١٧	* المراجع

رقم الإيداع ٤٣٤٧ / ٨٦
الترقيم الدولي X - ٦٤ - ١٤٢٠ - ٩٧٧

مكتبة الوثائق - المخطوطة

شارع الإمام محمد عبده المراجعة لكلية الآداب

ب - ٣٤٢٧٢١ - ص.ب. ٢٣٠

ملخص DWFA UN ٢٤٠٠٤

هذا الكتاب

يتعرض هذا الكتاب لمفهوم التغيير الاجتماعي وعوامله من حيث كونها هي الأسس التي يُعتمد عليها في تأصيل مافى أنفس الناس وأعمالهم .

ويتعرض الكاتب من خلال هذا إلى مفهوم التربية الإسلامية وهدفها وميادينها المختلفة ، مثل ميدان العقيدة وميدان التزكية وميدان الإعداد الفكري وتقديم المعارف ثم ميدان الإعداد الوظيفي .

ثم يتعرض بعد ذلك إلى تحقيق أهداف التربية الإسلامية وذلك من خلال الأسرة والمسجد والمدرسة ، ثم دور التربية الإسلامية في تغيير الطبيعة الإنسانية وترسيخ القيم والأفكار والمفاهيم .

ويتناول بعد ذلك دور التربية الإسلامية مع الضبط الاجتماعي ، والتغيير الاجتماعي ، والتكافل الاجتماعي ، والنظام الاقتصادي ، والنظام السياسي .

ثم يعود إلى نقطة البداية وهي تغيير ما بالأنفس . وهذا البحث يعد من الأبحاث القيمة المتفردة في هذا المجال بما يفيد العاملين في جميع النواحي التربوية والإنسانية .
فنسأل الله أن يُعمِّم به النفع والفائدة .

وعلى الله قصد السبيل .

الناشر

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة .



إلى هارة والطابع : المنصورة ش. الاسم محمد عبد الواحد لكه الآلات ت ٢١٧٧٦١ / ٢١٧٧٢٠ / ٢٥٦٢٢٠
فرع المنصورة أمام كلية الطب ت ٢١٧٧٢٢ من ب ٢٢ بكس ١٧٢٨٨٤٨
صوع القاهرة ١١٠ ش. شريف ت ٢٩٢١٩١٨ / ٢٩٢١٩١٧ ٢٩٢١٩١٦